الوجود اليهوديّ في أفريقيّا جنوب الصَّحرَاء وانعكاساته على الأمّن القوميّ العربيّ

(The Jewish presence in sub-Saharan Africa and its implications for Arab national security)

د. عبد الله عيسى عيسى

باحث في الدراسات الأفريقيّة، جامعة حلب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سوريا

Dr. Abdullah Issa Issa

Researcher in African history

University of Aleppo, Faculty of Arts and Humanities, Syria

iissa34@yahoo.com

المستخلص

تسعى هذه الدراسة إلى تسليط الضوء بشكلٍ موجزٍ ومقتضب على مظاهر التغلغل اليهوديّ في أفريقيّا جنوب الصَّحرَاء، وتأثيراته على الأمّن القوميّ العربيّ. وقد اشتملت على ثلاثة مباحث رئيسية: خُصص المبحث الأول لدراسة وتتبع الجذور التاريخية للوجود اليهوديّ في أفريقيّا جنوب الصَّحرَاء، أما المبحث الثاني فحاولنا فيه رصد أهمّ العوامل والأهداف التي كانت من وراء هذا التدخل، وتبين لنا أنَ العامل الاقتصادي كان المحرك الأساس للتدخل اليهوديّ في أفريقيّا جنوب الصَّحرَاء، بالإضافَةً إلى العوامل الأُخرى، السياسيَّة، والعسكريّة، والأمّنية. أما المبحث الثالث والأخير فقد جاء ليُسلط الضوء على تأثيرات هذا الوجود على الأمّن القوميّ العربيّ، وسبل مواجهته، ثم تلا ذلك الخاتمة التي تشمل على النتائج والتوصيات، كما ذيلنا دراستنا هذه بقائمةٍ للمصادر والمراجع التي اعتمدنا عليها في هذه الدراسة.

(الكلمات المفتاحية):

أفريقيّا جنوب الصَّحرَاء، إسرائيل، الأمّن القوميّ العربيّ، الوجود اليهوديّ.

Abstract

This study seeks to shed light, briefly and concisely, on the manifestations of the Jewish penetration in sub-Saharan Africa, and its effects on Arab national security. It included three main topics: The first topic was devoted to studying and tracing the historical contexts of the Jewish presence in sub-Saharan Africa, and the second topic, in which we tried to monitor the most important factors and goals that were behind this intervention, and we found out that the economic factor was the main driver of the Jewish intervention, in addition to other political, military, and security factors. As for the third and final topic, it came to shed light on the effects of this presence on Arab national security, and ways to confront it, then followed by the conclusion that includes results and recommendations, as we concluded our study with a list of sources and references.

Keywords : Sub-Saharien Affricha, Israël, Araba national securit, Hewish présence.

المقدمة

إذا تأملنا وتفحصنا في المصادر التاريخية سنجد أنَّ القارة السمراء كانت محط اهتمام الدول الاستعمارية، والغزاة، خصوصاً الدول الأوروبية، مثل: البرتغال، وإسبانيا، ثم فرنسا وإنجلترا وبلجيكيا وغيرهم؛ فتلك الأطماع في تلك القارة قديمة، ومن عدة قرون مضت، ولكن ما الذي جعل أفريقيّا جنوب الصَّحرَاء محط أطماع الغزاة؟ ذلك لأنَّ المنطقة مليئة بالموارد الطبيعية والمواد الخام، مثل: النفط والغاز والأخشاب، ومواد أُخرى مثل الكاكاو والمطاط؛ مما يجعل منطقتنا تجمُّعاً غنيّاً للمواد الطبيعية.

كما تمتلك القارة السمراء أكبر احتياطي للمعادن الثمينة في العالم، هذا إلى جانب غناها بالثروة الحيوانية، فهذه الموارد التي من شأنها أن تدعم اقتصاديات البلدان الأفريقيّة وتدعم نموها، ومع ذلك جعلت تلك الموارد ـ بالإضافَةً إلى إشرافها على ممرات مائية هامة ـ القارة السمراء مطمعاً للعديد من الغزاة؛ فكانت تلك الموارد نقمة عليها لجلبها ويلات الاستعمار؛ ولكن هل كانت أفريقيّا جنوب الصَّحرَاء مطمعاً للغزاة في الماضي فقط؟ بالطبع لا، فكما كانت مطمعاً في الماضي فهي مطمعاً أيضاً في وقتنا الحالي، فنجد فيها توغلاً للعديد من الدول لمحاولة السيطرة عليها، واستغلال ثرواتها، و تهديد أمن بعض دولها، والتحكم في الممرات المائية التي تشرف عليها، وكسر حدة العزلة الدوليَّة التي فرضتها عليها بعض الدول العربيَّة. ومن أمثال تلك الدول هي دولة الكيان الصهيوني «إسرائيل».

أهمّية الدراسة وأهدافها:

تكمن أهمّية دراستنا هذه من حيث كونها تسلط الضوء عبر شرفاتٍ مختلفة، وبطريقةٍ علميَّة أكاديميةٍ على بعض مظاهر الوجود اليهوديّ في الجزء الجنوبي من القارة الأفريقيّة، وتأثيرات هذا الوجود على الأمّن القوميّ العربيّ، وسبل مواجهته. كما تحاول ـ أيضاً ـ إبراز الخطر اليهوديّ على مستقبل التنمية في أفريقيّا؛ فالوجود اليهوديّ إنْ أردنا وصفه، فلا بد لنا من القول: بأنَّه كالورم الخبيث الذي يصيب الجسد فيفسده، فلا بد إذا من استئصاله إن أردنا المحافظة على جسدٍ سليمٍ. وكما تهدف هذه الدراسة إلى إثراء وإخصاب الدرس العربيّ المتعلق بأفريقيّا جنوب الصَّحرَاء، والعمل على إغناء المكتبة العربيَّة التاريخية في هذا الشأن.

منهجية الدراسة وأدواتها:

لقد اتبعنا في دراستنا هذه المنهج الوصفي التاريخي في عرض الحدث، والمنهج التحليلي في قراءة الحدث، وتقديم دراسةٍ استشرافيةٍ بغية الوصول المعرفة، والحقيقة التاريخية المنزهة، والبعيدة عن الأغراض والنوايا المبيَّتة.

إشكاليَّة الدراسة وتساؤلاتها:

تسعى دراستنا هذه للإجابة عن الأسئلة التالية:

١. ما هي أهمّ المحطات التاريخية للوجود اليهوديّ في أفريقيّا جنوب الصَّحرَاء؟

٢. كيف تجلت ملامح التأثيرات اليهوديّة في أفريقيّا خلال عهد الممالك الكبرى (غانا، مالي، سنغاي)؟

٣. ما هي أهمّ الدوافع والأسباب اليهوديّة للتوجه صوب أفريقيّا جنوب الصَّحرَاء؟

٤. ما هي انعكاسات الوجود اليهوديّ على الأمّن القوميّ العربيّ، وسبل

مواجهته؟

٥. ما علاقة إسرائيل بالصراعات الدائرة في حوض النيل؟

هذه إذاً مجمل الأسئلة التي سنعمل على مناقشتها في هذه الدراسة، وهي بطبيعة الحال لم تخلُ كغيرها من الدراسات من بعض النواقص والعيوب؛ لأنَّ بلوغ الكمال لله وحده. وأخيراً، ارجو أنْ تكون هذه الدراسة بمثابة لبنةٍ جديدةٍ في حقل التاريخ الأفريقيّ، ومساهمةٍ متواضعةٍ في إعادة كتابة تاريخ القارة الأفريقيّة بأقلامٍ عربيّة.

المبحث الأول: الجذور التاريخية للوجود اليهوديّ في أفريقيّا جنوب الصَّحرَاء: حقيقة تاريخية أم أسطورة

شغلت مسألة «أفريقيّا» و«اليهود السود» و«المستوطنون»، حيزاً كبيراً في الفكر اليهوديّ القائم بشكلٍ أساسٍ على نصوص الكتاب المقدس، ويرى البعض أنَّ جميع الحاميين والساميين كانوا في الأصل سوداً، تثنيةً على أنَّ أبناء العبرانيين الثلاث هم: إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب عليهم السلام، وأنَّ النبي يعقوب كان له اثنا عشر ابناً، أصبَحَوا رؤساء قبائل بني إسرائيل، وأنَّ النبي إبراهيم لم يكن أباً للشعب العبري ـ الإسرائيلي فحسب، ولكنَّه كان أيضاً أباً للشعب العربيّ.

كما يعوّلون على قصة نبي الله يوسف عليه السلام، الذي لم يعرفه أخوته في أثناء وجودهم في مصر، وشعبها أسود، وأنه كان أسود مثل المصريين.

ويطرح «ويندسور» ما يعتبره دليلاً على أنَّ بني إسرائيل كانوا سودا، وهو ما وجده في مواضع متفرقة في الكتاب المقدس، من أنّ أبناء يعقوب ومن بعدهم من بني إسرائيل كانوا يتزوجون من نساء الكنعانيين، حيث يقول: «وإن لم يكن بنو إسرائيل القدامى سودا في الأصل، فإنهم كانوا ليصحبوا كذلك بعد الاختلاط بالكنعانيين رجالاً ونساءً». كما رأى في الإشارة إلى الجذام الذي يحول لون البشرة للأبيض دليلا آخر، مستشهدا بما كتبه «هربرت وندت» (H. Wendt)، في كتابه (It Began in Babel)، حيث يقول: «تشير جميع المؤشرات الظنية في واقع الأمّر إلى أنَّ آسيا كانت هي مهد العرق الأسود». وتركز التصور اليهوديّ لبلاد السودان طوال قرونٍ سابقة على مولد المسيح في منطقة الوجود اليهوديّ الرئيسي فيها، وهي شمال أفريقيّا؛ وبخاصة قرطاج، مع تباين الروايات والشواهد التاريخية حول مثل هذا الوجود على أطراف الهضبة الحبشية، كما ظلَّ الاستيطان اليهوديّ بها مسألة إشكاليَّة، وأرجعه البعض إلى صلاتٍ قديمة بين اليهود والفينيقيين، وإن لم تتوفر الأدلَّة والوثائق التاريخية على ذلك، ورأى آخرون، أنه تم من قِبل

عبيد رومان، أو من أحفاد يهود لجماعاتٍ بربرية.[١]

ورصد «حاييم زيف هيرشبرج» (H.Z. Hirschberg)، حركة اليهود من ليبيا وبرقة التي استوطنها اليهود في القرن (٢.ق.م)، وتقدمهم نحو مناطق ازدهار ثقافي واقتصادي، كقرطاجة؛ بسبب الظروف الاقتصادِيَّة الصعبة نحو بقاء يهود برقة وليبيا.[٢]

وحسب المصادر اليهوديّة فإنَّه يمكن أنْ يكون التأثير اليهوديّ الأولي على قبائل وشعوب بلاد السودان، قد بدأ مع وفود التجار اليهود المرافقين للتجارة المصرية التي شقَّت طريقها من النيل إلى ضفاف نهر النيجر، دون تجاهل تأثير وفود يهودية قادمة من الشمال الأفريقيّ إلى هذه المناطق، عبر طرقٍ صحراوية أُخرى. ويرجع «وليامز» في تفسيراته تلك، إلى عهد الفينيقيين الذين وصلوا إلى سواحل الأطلسي الأفريقيّة، وكذلك الذين استوطنوا في قرطاج وتوسعوا في أنشطتهم التّجارِيَّة بحراً، وربما عبر طرقٍ بريَّةٍ من قرطاج نحو بلاد السودان عبر الصَّحرَاء الكبرى، وأنَّ هذه الأنشطة لا بدَّ وقد شملت بعض العناصر اليهوديّة، وأنَّه مع تأسيس قرطاج، وانتشار التحول السامي (Semiticizing)، بين القبائل المجاورة، ربما لعب اليهود دورا ليس صغيرا في هذه العملية، كما أنَّ غياب النساء عن مرافقة المغامرين من الرجال قاد إلى انتشار الزواج المختلط من جانب الأفراد اليهوديّة مع عناصر أُخرى.

وقد تلا الرواد الأوائل للوجود اليهوديّ في بلاد السودان ـ حسب وليامز ـ تدفق جماعات يهودية أُخرى متضمنة عائلاتٍ كبيرةٍ استوطنت في قرطاج وبرقة، ومع بروز البطالمة في مصر، بدأت هذه المراكز اليهوديّة في اكتساب سمة عسكريّة، وخوض صراعات مع قبائل البربر، وإنْ كان من الصعب تحديد العناصر البربرية التي تهودت عن اليهود المستعمرين.[٣] وقد كان لليهود في نهاية القرن الثاني للميلاد وجودٌ ملحوظٌ وخاصٌ في قرطاج، في ظلِّ علاقاتٍ طيبةٍ – نوعاً

ما- مع الجماعات المسيحيّة بعد تدمير القدس، وهو ما تجلى في استخدامهم مقابر مشتركة في ذلك الوقت. ومع عصر المؤلف الأمّازيغي «ترتليان» (Tertullian) (١٤٥- ٢٤٥م)، والذي يُعرف بأبي اللاهوت الغربي، بدأوا في مواجهة مناوئين في قرطاج كما في أنحاء أُخرى من شمال أفريقيّا.

وهكذا؛ فإننا نقرأ في عمله الأهمّ (الاعتذار) (The Apology Apologetics)، حيث يقول: «إنَّ جميع من هم خارج الكنيسة أعداءٌ لها، وخاصة اليهود بحسب غيرتهم نحونا». وتحدث ترتليان بالتفصيل عن موقف مسيحيي شمال أفريقيّا من اليهود حيث يقول: «إننا المسيحيّون نقيم اعتقادنا بربٍ واحدٍ على تجلي الرب نفسه في نصوص العهد اليهوديّ القديم، التي تُعدُّ من أقدم النصوص في العالم، نحن نؤمن بالرب نفسه الذي يؤمن به اليهود، لكننا نختلف عنهم في قبولنا قُدسية المسيح الناصري».(٤)

أما عالم البحر الأحمر الجنوبي؛ فقد شهد اهتماماً يهودياًملفتاًللنظر بسبب عوامل جغرافية واقتصادِيَّة؛ ففي وثيقة فريدة تعود للعام (٨٩٧م)، بخصوص ترتيب لتسوية وضع اقتصادي معينٍ في اليمن إشارات لوضع اليهود في تلك الفترة؛ وتتعلق بحماية أراضي «المحميون»، سواء من اليهود أو المسيحيّين في نجران، والتي اشتروها من المسلمين في فترة صعود الإسلام في اليمن. ومن الواضح من بقية الوثيقة أنَّ اليهود لم يعانوا من أية سياسات تمييزية ضدهم؛ ما يؤكد لنا عدم وجود سياسات تمييزية ضد اليهود في بقية الدول الإسلاميَّة، على الأقل حتى عهد الخليفة العباسي المتوكل (٨٤٧- ٨٦١م)، ويناقض جوهر هذه الوثيقة الرؤية التي قدمها المؤرخ اليهوديّ اليمني «حاييم حبشوش» (H. Hibshush) (١٨٣٩-١٨٩٩م)، في دراسته عن تاريخ اليهود في اليمن من وجود اضطهادٍ منتظمٍ لهم في الفترة نفسها تقريبا، وربطه بشكل تقليدي بين هجراتٍ يهوديةٍ يمنية إلى منطقة الحبشة.(٥)

استناداً إلى المعطيات السابقة، نعتقدُ بأنَّ وضع اليهود في شمالي اليمن ووسطه كان مستقراً نوعاً ما ولم يتدهور إلَّا مع نهاية القرن الخامس الهجري (١١م)، تزامناً مع تصاعد نفوذ الأسرة الحمدانية من بني حاتم، ومنذ تلك الفترة ـ تقريباً ـ بدأ اليهود يهاجرون بأعدادٍ لافتةٍ إلى عدن والساحل السوداني، ونشأ تمركز لليهود في هذه المدينة المهمة على طريق الهند، حيث ترد تفاصيلٍ كثيرة لذلك في وثائق الجنيزة، وبرز طوال قرن تقريباًمن نهاية القرن الخامس الهجري (١١م) إلى العام ١١٧٢م؛ وهو العام الذي شهد سيطرة أسرة تجارية يهودية محلية مقيمة في عدن، واحتلت منصب «كبير التجار»، وكان أولهم «حسن بن بنادر» (١٠٩٧-١١٣٢م)، الذي ينتمي لأسرة فارسية.

كما روّج مؤرخون آخرون أبرزهم «إيزاك مرقس جوست»(I.M. Jost)، لنظرية مفادها: «أنَّ يهود الفلاشا احتلوا لفترٍ ما منطقة على الساحل الشرقي للبحر الأحمر». غير أنَّ هذا التصور يمكن دحضه بسهولة، لأنّه- على حد «ستوارت دونالدسون»- يبدو من غير المألوف للغاية عدم وجود معرفة معتبرة عنهم أو ظهورها للضوء بمرور الزمن التي زار خلالها رحالةٌ كثيرون منطقة البحر الأحمر، كما يعزز من دحض هذه النظرية في ذات الوقت، عدم تحديد موقع محدد على الساحل الشرقي، أو اللغة التي يُفترض أنّهم كانوا يستخدمونها، كما أشار «دونالدسون» لملاحظة ذكية للغاية، وهي أنَّه إنْ كان الفلاشا قد خرجوا من مناطق ساحلية فإنَّه كان لابد لهم من تباين جذري في عادات وحِرف هذا العِرق بينهم في الحبشة، وهو الأمّر غير الملموس بالمرة.(٦)

ونعتقد أنَّ اقتصاد البحر المتوسط قد بدأ في النمو في القرن الثالث الهجري (٩م)، بعد نحو ثلاثة قرون من الركود العام، وسأهمّ في ذلك النمو قيام دولة «الأغالبة في أفريقيّة» (٨٠٠-٩٠٩م)، التي أصبَحَت القيروان القريبة من قرطاج مركزاًلتجارة البحر المتوسط، كما تحول الاقتصاد المصري بشكل أكبر نحو البحر المتوسط في عهد «الدّولة الطولونية» (٨٦٨ - ٩٠٥م)، كما حظي اقتصاد البحر

المتوسط بدفعة قوية مع تأسيس الفاطميين للقاهرة في العام (٩٠٩م)، بالتزامن مع تطوراتٍ اقتصادِيَّة في شمالي البحر المتوسط.

ولاحظت بعض المصادر التاريخية تركيز أنشطة الجماعات اليهوديّة التّجارِيَّة في ذلك الوقت، في البحر الأحمر خلال القرنين التاسع والعاشر الميلاديين، وبرز أهمّ اقتباس عن التجارة المنتظمة «لليهود» في البحر الأحمر إلى المحيط الهندي عند ابن خردذابة (كُتبت في العام ٨٤٥م)، حول التجار اليهود المختلف عليهم، والمعرفون باسم «الرّذنيّة» (Radhanites)، وأنهم يتحدثون اللغة العربيَّة، والفارسية، واليونانية، ولغة الفرنجة، ويسافرون من الغرب إلى الشرق براً وبحراً، ويحملون من الغرب العبيد والإماء(أي فتيات العبيد)، والسيوف وغيرها، ويعبرون من فرنجا (Firanja) في البحر الغربي، ويرسون في الفرما (عبر النيل قرب السويس)، ويحملون منها سلع القلزم (البحر الأحمر)، ثم يبحرون إلى البحر الشرقي من القلزم، ومنها إلى السند والهند والصين.(٧)

وقد أوردَ «شلومو دوف جوتين» (S.D. Goitein)، في رصده (الذي يقع في أربعة مجلدات ضخمة(، لوثائق الجنيزة، التي اكتشفت في القاهرة، مقتطفاتٍ كثيرةٍ تشير لهذه التجارة الثرية في ذلك الوقت، واهتمام اليهود بالبحر الأحمر وخليج عدن إلى المحيط الهندي، وامتداد تأثيرهم ـ وأغلبهم من أصول عراقية وإيرانية ـ إلى تجارة ساحل شرق أفريقيّا.(٨) وواجهت اليهوديّة، حسب أدبياتها، في شمال أفريقيّا أكبر أزماتها في القرن السادس الهجري (١٢م) مع التوسع القوي للموحدين، ولم يجد يهود المدن أمامهم من بديل غير الهروب إلى داخل أراضي البربر.

بل ومضى «هيرشبرج» في مؤلفه الشهير عن «تاريخ اليهود في شمال أفريقيّا»، والذي كتبه بالعبرية قبل ترجمته للغات أوروبية عديدة في رصد حالاتٍ فرديَّةٍ يهوديَّةٍ عملوا كسفراء لملوك في شمال أفريقيّا، وخصوصاً في مدينة فاس

بالمغرب الأقصى، معتبراً إياها ظاهرة متماسكة، مثلها مثل «يعقوب روسالس» (Jacob Rosales)، الذي كان تاجراً يهودياً بارزاً في فاس، الذي حافظ على صلاته الطيبة مع البرتغاليين في القرن (١٦م)، الذي شهد ـ على الجانب الآخر من العالم المعروف آنذاك ـ بدء الهيمنة الأوروبية على المحيط الهندي. وكان ساحل شرق أفريقيّا بين الساحل الكيني شمالاً والجزء الجنوبي من ساحل تنزانيا جنوبا، وعند وصول البرتغاليين في مطلع القرن ١٦م، خاضعا لسيطرة عددٍ من حكام المدن الساحلية. وفي غضون ما يقل عن عشرة أعوام من قدوم البرتغاليين؛ تمكنوا من السيطرة على أهمّ مدن وموانئ هذا الساحل، وسواحل شبه الجزيرة العربيَّة الجنوبية، وأجزاء من الخليج العربيّ والهند.(٩)

ومن اللافت للانتباه، أنَّ الجغرافي الإنجليزي «جون أوجيلبي»-J. Ogil-by) يذكر في عمله حول أفريقيّا، المنشور في عام (١٦٧٠م)، أنَّ الأحباش اطلقوا على مملكة سامن (Samen)، اسم (Xionuche) «نسبة إلى صهيون» وأنها بلد؛ لكنها مغمورةٌ وخاضعة لهيمنة الأحباش.(١٠)

فوق هذا وذاك، قدمت إرساليات الجزويت في الحبشة، معلومات قيّمة عن الظروف الاجتماعيّة والاقتصادِيَّة ليهود الفلاشا، ومن أهمّ هذه التقديرات ما قدمه «بالثازار تاليز» (Balthazar Tallez)، خلال رحلته إلى إثيوبيا في العام (١٦٤٥م)، وأنه بعد تفرق اليهود اتجه كثيرون منهم للاستيطان في ديمبي (Dembea)؛ حيثُ عملوا في النسيج أو صنع المحاريث، أو غيرها من الضروريات، باعتبارهم حدادين كبار، كما تحدث عن كون كثير من اليهود غير خاضعين لإمبراطورية الحبشة، وبأنهم يتمتعون بحريةٍ مطلقةٍ.

أما فيما يخص رؤية اليهود ودورهم في تجارة العبيد الأطلسية، من الناحية العملية هذه المرة، فقد كان مرسوم الطرد (Expulsion of Edict)، الصادر في (٣١ مارس ١٤٩٢) من قَبل الملك «فرديناند وإيزابيلا»، والذي منح اليهود

مهلة أربعة أشهر، إما اعتناق المسيحيّة وإما مغادرة إسبانيا، وإلا تعرضوا لعقوبة الموت، وأنه عليهم ترك جميع ثرواتهم خلفهم. وقدّر أنَّ أقل من (٢٥٪) من اليهود، قرروا اعتناق المسيحيّة، كما قدّر أنَّ عدد اليهود الذين غادروا إسبانيا بلغ عددهم تقريباً (١٥٠-٤٠٠) ألف يهودي، ذهب بعضهم إلى البرتغال؛ حيث أقاموا بها حتى العام (١٤٩٦م)، عندما تعرضوا لمذابح وتهجير قسري، وخرجتُ أغلبية يهود إسبانيا، الذين عُرفوا «بالسفارديم» (Sephardim)، إلى مناطق الإمبراطورية العثمانيَّة في شمال أفريقيّا، حيث رحب بهم السلطان بايزيد الثاني (Beyazit II).

وتراجعت تجارة الرقيق بشكل كبير في النصف الأول من القرن الثالث عشر للهجرة (١٩م)، حيث وصل عددهم، حسب تقديرات بعض مؤرخين، عبر طرق التجارة الصحراوية الأربعة الرئيسة، في العام ١٨٣٩م (من غرب أفريقيّا إلى المغرب وغدامس وفزان وبنغازي)، إلى نحو (٢٠ ألف فرد)، وهو رقم قد يتضاءل عند مقارنته بالتجارة عبر المحيط الأطلسي، والتي بلغت في مطلع القرن التاسع عشر نحو (٧٠ ألف أفريقيّ)، وفي شرق أفريقيّا نحو (٣٠ ألف أفريقيّ) سنويا في الفترة نفسها تقريبا. وتراجعت هذه التجارة (الصحراوية، ومن شرق أفريقيّا تحديداً)، بشكلٍ كبيرٍ بعد إلغاء الدّولة العثمانيَّة في عام (١٨٥٧م) لهذه التجارة، بفرمان يُلغي التجارة العبيد في جميع أنحاء ممتلكات العثمانيَّة باستثناء الحجاز.

وقد واجهت الرغبة المحدودة لاعتناق العبيد والخدم السود لليهودية قدراًكبيراًمن القمع من قبل قادة السفاراديم في العالم الأطلسي، وبحلول القرنين الحادي عشر والثاني عشر للهجرة (١٧ ـ ١٨م)، فإنَّ ختان العبيد الذكور(circumcision) – الذي كان شائعاً في العصور الوسطى- وتحويل أغلب العبيد لاعتناق اليهوديّة، بدا أمراً غير مرغوبٍ فيه، وغير ممارس في الجماعات اليهوديّة في هولندا وإنجلترا ومستعمراتها الأمّريكيَّة. وأرجع البعض

تراجع نشر اليهوديّة في القرن العاشر الهجري (١٦م)، إلى عوامل عديدة منها على سبيل المثال الضغوط السياسيَّة والدِّينيَّة العامة ضد اليهود في إنجلترا ومستعمراتها، وكذا ميل الكثير من اليهود إلى التثاقف مع الثقافة المسيحيّة الغربية.

وكان اليهود حاضرين بقوةٍ في تطور العلاقات بين الأغلبية من السكان المحليين والأقلية من المستعمرين الأوروبيين في عالم المحيطّ الأطلسي، وعلى سبيل المثال: فإن الوجود اليهوديّ في جزيرة أنتيلين (Antillean) الهولندية برز في الدَّور الذي لعبه اليهود السفاراديم بين الأفارقة، والبروتستانت البيض، وأغلبهم من الهولنديين، وهوَ دور وسطي اشتهر به اليهود في أغلب المستعمرات الأوروبية في القارة الأفريقيّة وفي العالم الأطلسي. ويمكن رؤية هذه الصلات خاصَّةً في النصف الأول من القرن الرابع عشر للهجرة (٢٠م)، في المجالات السياسيَّة والعملية والاجتماعيّة والاقتصادِيَّة، والتي استمرت حتى نهاية الستينيات.

التأثيرات اليهوديّة في بلاد السودان خلال عهد الممالك الكبرى (غانا ـ مالي ـ سنغاي)

إنَّ الاهتمام بموضوع اليهود في التاريخ المجتمعي الوسيطي للممالك السودانية، انطلاقاًمن المادة المصدرية المعاصرة، يضع الباحث أمام مستويين من الدراسة؛ المستوى الأول، افتراضي يقوم على مناقشة نصوص تتحدث عن وجود شعوب أو ممالك يهودية افتراضية بمنطقة الساحل السوداني، أمّا المستوى الثاني، فيركز على الدَّور الحقيقي والفعّال لليهود في التجارة الصحراوية، وانعكاسات ذلك في تطوير المعارف الأوروبية داخل مدارس الكارطوغرافية الغربية، حول تجارة الذهب والعبيد.

يلتقي الشريف الإدريسي في القرن السادس الهجري (١٢م)، وديوجو جومش في أواخر القرن التاسع الهجري (١٥م)، وصاحب تاريخ الفتاش

في القرن العاشر الهجري (١٦م)، في الحديث عن ممالك أو شعوب يهودية استوطنت الساحل الأفريقيّ في مواضع متباينة، وفي أزمنة مختلفة، ويتعلق الأمّر بـ (قمنورية) عند الأول، و (بافور) لدى الثاني، بينما يتحدث الثالث عن يهود إقليم (تندرما)، دون أنْ يُعطي لمملكتهم اسماًمعيناً..

وحتى تتضح الصورة أكثَر لدينا، لا بد من إدراج رواية كل واحد من هؤلاء الثلاثة حول الموضوع، على حدى، ومن ثم مناقشتها وتحليلها.

فخلال القرن السادس الهجري (١٢م)، تحدّث الإدريسي عن «بلاد لملم»، وذكر مدنها «ملل و دو»، واعتبر ساكني البلد يهوداً، وأطلق عليهم اسم (قمنورية)، يقول في ذلك: «وفي الجنوب من بريسي أرض لملم، وبينهما نحو عشرة أيام، وأهل بريسي وأهل غانا يغيرون على بلاد لملم، ويسبون أهلها، ويجلبونهم إلى بلادهم، فيبيعونهم من التجار الداخلين إليهم، فيخرجهم التجار إلى سائر الأقطار، وليس في جميع أرض لملم إلا مدينتان صغيرتان، اسم إحداهما «ملل»، واسم الثانية «دو»، وبين هاتين المدينتين مقدار أربعة أيام، وأهلها فيما يذكره أهل تلك الناحية يهود، والغالب عليهم الكفر والجهالة، وجميع بلاد أهل لملم إذا بلغ أحدهم الحُلم، وسم وجهه وصدغه بالنار، وذلك علامةً لهم. وبلادهم وجملة عمارتهم على واد بمد النيل، وليس بعد أرض لملم في الجنوب عمارة تُعرف، وبلاد لملم تتصل من جهة المغرب بأرض مقزارة، ومن جهة الشرق بالأرض الخالية، وكلامهم لا يشبه كلام المقرازيين ولا كلام الغانيين».[١١]

أما فيما يتعلق بظروف اختفاء هذا الشعب، يفيد الإدريسي أنَّ «أهل زغوة وأهل لمتونة الصَّحرَاء الساكنون من جهتي هذه الأرض، طلبوا هذه الأرض، أعني أرض قمنورية، حتى افنوا أكثَر أهلها، وقطعوا دابرهم وبدوا شملهم على البلاد»[١٢]. ثم يضيف قائلاً: «فأفنتهم الأيام، وتوالت عليهم الفتن والغارات من جميع الجهات، فقلوا في تلك الأرض، وفروا عنها واعتصموا في الجبال، وتفرقوا

في الصحاري ودخلوا في ذمة من جاورهم، وتستروا في أكنافهم، فلم يبق من أهل قمنورية إلا قوم قلائل، متفرقون في تلك الصحاري، وبمقربة من الساحل، عيشهم من الألبان والسمك، وهم في كدّ العيش، وضيق الحال وهم ينتقلون في تلك الأرض مع مهادنة من جاورهم، ويقطعون أيامهم مسالمة إلى حين».(١٣)

وعند تحليلنا لرواية جغرافينا عن «قمنورية» اليهوديّة، يمكن القول أنَّ ما ذكره يثير إشكالاًكبيراً أمام الباحثين، يأتي أولها: انفراده بالحديث عن قمنورية، ثم لعدم تطابق مواصفات هذا الشعب من حيث مجالاته الجغرافيَّة وحدودها، وعقيدته وتقاليده، وعلاقاته بمحيطه، مع كتابات الجغرافيين العرب المعاصرين لهذه الفترة، أو القريبين منها. من ذلك أيضاً، اختلافه مع الجغرافيين حول «الملم»، من أنه شعب أسود اللون، ويدين بالوَثَنِيَّة في جنوب السودان، وهم أحياناً ـ في روايات أُخرى ـ «آكلو اللحوم البشرية»، كما أنّ «الملم» ـ بحسب مصادر وسيطية أُخرى- نعت لمملكة مالي المستقبلية، أو جزء منها، والتي لم يرد أي شيء في تراثها الشفاهي يفيد «بالأصل اليهوديّ» لساكنتها، بل على العكس، حاول رُواتُها في أكثَر من مناسبة وموقع، ربط نسب الماندينغ «ببلال مؤذن الرسول محمد عليه أفضل الصلاة والسلام».(١٤)

ومما يستوقفا أيضاً في رواية جغرافينا، كلامه بخصوص عقيدة شعب «قمنورية»، وما تتسم به من تشويش؛ «إذ إنّ أهلها فيما يذكره أهل تلك الناحية يهوداً، إلا أنّه يغلب عليهم الكفر والجهالة، بل في معتقدهم تشويش، وليسوا بشيء ولا على شيء»(١٥). بل بالنظر لغرابة المعتقد الذي كان عليه هذا الشعب، «أصبَحَوا مكروهين من قبل جميع الطوائف المجاورة لهم، والمحدقين بأرضهم»(١٦)، الأمّر الذي جعل الشعوب المجاورة تستهدفهم بالغارة، لتقنصهم وبعيهم عبيداً للتجار بعد ذلك.

أما فيما يتعلق بـ «بافور» (Bafour)، فيعتبر «ديوجو جومش» (Diogo

Gomes) أول من أشار إليه كنعت لمجال، أو لشعب يدين باليهوديّة في منطقة الساحل الغربي لأفريقيّا، وفي ذلك يذكر أنَّ القوافل التّجارِيَّة المتجهة إلى مدينة تنبكت تصادف في طريقها جبلاًيُسمى «ابفور» (Abofur)، يقطن فيه رجال لهم «وجوه تشبه الكلاب».(١٧)

ويرد نفس الاسم «Baafar أو (Boffor) عند فيليب فرناندس (V. Fernandes) كاسم لأدرار الموريتانية، ويصفُ ساكنتها بالشعوب «الآكلة للحوم البشرية».(١٨)

استنادا إلى المعطيات السالفة الذكر، يمكن القول، لقد طرح «بافور» أيضاً إشكالاًعويصاً أمام الباحثين شأنه في ذلك شأن الشريف الإدريسي؛ وذلك لعدم ورود هذا الاسم في المصادر المعاصرة، الأمّر الذي دعا «لوكا» (A.L. Lu-cas) إلى البحث في التراث الشفاهي لقبائل بني «أولاد بيري» و«أولاد ديمان» وغيرهما من القبائل الموريتانية، وقد أفضت تحرياته وأبحاثه إلى معلومات متناقضة ومشوشة، وليس هناك ما يجمعها سوى الطابع الأسطوري؛ بحيث اختلفت أقوالهم بين من يعتبرهم بيضاًبربراً، أو يهوداًقدموا من وادي النون، أو بيضاًيهودا، أو رجالاًحُمر البشرة، يقترب لونهم من الفولبي غير مهجنين، أو يهوداًمهجنين.(١٩)

فخلص «لوكا» (A.L. Lucas) بعد ذلك، إلى اعتبارهم بيضاًغير عرب ولا بربر، وإنَّما يهوداً يشبهون من حيث اللون شعب «الفولبي» غير المهجنين، مخالفاًبذلك ما ذهب إليه كل من «مرتي» (Marty)، و «منتي» (Monteil) وغيرهما من الباحثين الذين قدّموا أطروحات مخالفة.(٢٠)

أما ريمون موني (R. Mauny)، ففي مقاربته للموضوع يخلص إلى أنَّ تسمية «بافور» لا تعدو أنْ تكون سوى «درج للمهملات» اخترعته الشعوب الحالية لأدرار الموريتانية، لتضع فيه وبشكلٍ فوضوي تاريخ وآثار الشعوب

التي سبقتها في استيطان الأرض، والتي لا تعرف عنها أي شيء (بئر، قناة، ري، حصن)[٢١]، فهم برأيه، أسلاف أسطوريون يستحضرون عندما يقتضي الأمّر الإدلاء بالحجة على الأسبقية في ملكية الأرض، لكن سرعان ما ينكروهم حين يفضي الشعور بالانتساب إلى الاعتراف بالتبعية لهذه المجموعة أو لتلك.[٢٢]

وبالانتقال إلى يهود «تندرما» الافتراضيين بالقرب من منطقة جوندان (Goundan)، الواقعة في قلب بلاد السودان، نجد أنَّ كتاب (تاريخ الفتاش)، ينفرد في الحديث عنهم؛ إذ يُفيد المؤلف، أنَّ عمر كمزاغ لما أذِن له أخوه الأسكيا محمد الأول ببناء عاصمة له، وذلك في سنة (٩٠٢هـ / ١٤٩٧م)، اتجه للبحث عن موضع يليق بعاصمة حُكمه، يقول في ذلك: «فجعل يفتش في الجزائر والصحاري حتى أتى تندرم، فأعجبه ذلك المكان، وكان من قبل مسكن قوم بني إسرائيل وأجدادهم، وآبارهم هنالك إلى الآن، فلما رأوا آبارهم ووجدوها يومئذٍ ثلاثمئة وثلاثاًوثلاثين بئراً، في جوانبها ووسطها ورأوا عجيب حفرها وحالها تعجبوا من ذلك تعجباً كبيراً». [٢٣]

ثم يضيف صاحب (الفتاش) مستطرداً: «فلما جاء عمر يريد بناءها، أي «تندم»، لم يجد هنالك حينئذٍ إلا شخص واحد اسمه تند، وله زوجة اسمها «مرمه»، وسُمي البلد به، وهو «تند ورم»، ولما رآه عمر كمزاغ سأله: ما اسمك وممن أنت؟ أجابه و قال: اسمي تسمن، لكن أولادي هؤلاء يدعونني بتند، وقبيلتي زنج تنب جزيرة بين كاغ و دند، وأولاده يومئذٍ ثمانية عشر ولدا، وسأله عمر أيضاً: هل زنج تنب أحرارٌ أم عبيد؟ فقال: بل عبيد الشريف مولاي أحمد في بلد مراكش، وقال له: كم لك هنالك من السنين؟ فقال: خمس وثلاثون سنة، وقال له: هل وجدت هناك أحداً حين تنزل؟ فقال له: ما وجدت هنا حينئذٍ إلا عبداً شيخاً كبيراً، أبيض شعره حتى احمر من بقايا قوم بني إسرائيل، وكنت معه هنا ثلاث سنين، ثم مات بين يديّ، وقال له عمر: هل سألته عن حالة هذا البلد؟ فقال: نعم سألته عن قومه واسم البلد، واسمه، فاسمه بعك واسم بحيراتها

«بعك»، وقال لي: أيضاً أمه «جنية» اعتقها سيدها تأتيه بما يأكل كلما جاع، وأخبرني بأشياء نسيت بعضها».[٢٤]

وعند تحليلنا ومناقشتنا للنصوص التي عرضها المؤرخ محمود كعت، يمكن القول، أنّها تطرح إشكاليات معقدة على عدّة مستويات؛ نجد على رأسها الطبيعة الشفاهية والأسطورية للأخبار التي يسوقها النص؛ فمصدر الرواية شخص ينتمي إلى عشيرة «السركو»، يروي أخبار «تندرما» لعمر كمزاغ، نقلا عن شيخ كبير من بقايا يهود تندرما، ومعاصر للراوي. بيد أنَّ عند ترتيبنا لفصول الرواية على الشكل الكرونولوجي، يتبين أنَّ السركو، في الوقت الذي يُقَدم فيه نفسه على أنَّه عبد من قبائل سودانية «تنب»، وهي جزيرة بين غاو ودندي، يشير إلى أنه من مملوكي الشريف «مولاي أحمد» في مراكش، الأمّر الذي يجعلنا نطرحُ سؤالاً كبيراًحول العلاقة الزمنية و الموضوعية بين فترتين متباينتين، يفصل بينهما حوالي قرن من الزمن، أولها سنة (٩٠٢هـ / ١٤٩٧م)، تاريخ زيارة عمر كمزاغ لتندرما، ولقائه بالسوركو، و زمن السلطان أحمد المنصور الذهبي، أي أواخر القرن العاشر الهجري (١٦م).

فهذا التناقض المهوّل في فصول الرواية، لا يستدعي التشكيك في صحة الروايات فحسب، وإنَّما يستوجب علينا عدم مناقشة مضامينها قطعاً، في انتظار أنْ يجود الزمن بباحث متطوع ومقتدر يقوم بإعادة ترتيب فصول كتاب (تاريخ الفتاش) برمته ترتيباًزمنياًوموضوعياً، مما قد يسهّل علينا أموراً كثيرةً قد تسعفنا في اكتشاف ما هو دفين.

وعليه يمكن القول وبكل اطمئنان، أنَّه إذا كانت غالبية النصوص التاريخية في حديثها عن وجود إمارات أو ممالك لليهود ببلاد السودان خلال هذه الحُقبة الزمنية، يغلبُ عليها الطابع الروائي ـ الأسطوري، وتفتقدُ إلى عنصر الزمن في ترتيب الأحداث؛ فإنَّ حضور اليهود كتجار ورحّالة، أمر واقعي في

تاريخ التجارة الصحراوية، وفي المنوغرافيات المتعلقة بالمحطات الرئيسية المطلة على الصَّحرَاء.

فوق هذا وذاك، تفيدُ معظم النصوص والوثائق التاريخية، أنَّ مجموعات يهودية تخللت ـ منذ ما قبل القرن الثاني الهجري (٨م) ـ معظم الشريط الصحراوي الجنوبي في توات و ورغلة، ونفزاوة، ونفوسة، وغدامس ..وغيرها، ويتناسب توزيعها مع التوزع الجغرافي للإمارات الخارجية، التي كانت تشكل نقط تجميع للسلع، وإعادة تصديرها، والتي اتسمت سياستها عموما بالتسامح اتجاه أهل الكتاب والسُنّة.[٢٥]

ومن الراجح، أنَّ هذه الجماعات لم تكن تعيش بمعزل عما يجري في الضفة الشمالية، بل كان لهؤلاء اليهود علاقات بالمدن الكبرى بالشمال، مثل فاس، وتلمسان، والقيروان، وطرابلس وغيرهما؛ حيث كانت تصل البضائع الأفريقيّة، وبعدها يتم تحويلها إلى مواد قابلة للاستعمال، أو إعادة تصديرها بالرغم من الضغوطات التي مورست عليهم أيام الإمبراطوريتين، المرابطية والموحدية، وربما غامروا منذ وقت مبكر في المتاجرة جنوباًعبر الصَّحرَاء، على نحو ما كانوا يفعلونه في إسبانيا، والخليج الفارسي، والمحيط الهندي.[٢٦]

انطلاقاًمن القرن الثامن الهجري (١٤م)، الذي تتزامن مع فترة حُكم بني مرين في المغرب الأقصى، وبني زيان في المغرب الأوسط، وبني حفص في المغرب الأدنى، تأكّد حجمُ الوجود اليهوديّ في المدن الواقعة على حافة الصَّحرَاء، خصوصاًفي السوس ودرعة؛ حيث اشتغلوا بالتجارة مع أهإلى بلاد السودان، كما عملوا في الوقت ذاته، بالرعي والزراعة، واستخراج معادن النحاس والحديد، والفضة، وصناعة الحُليّ.[٢٧] وتقدم مدينة «توات» في المغرب الأوسط، أحسن مثال على الرقي والازدهار الذي عرفه يهود الصَّحرَاء خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (١٤-١٥م)، وقد ارتبط هذا الازدهار بالتطور الذي عرفته

الطريق التجاري تلمسان ـ توات ـ النيجر، وظروف الأمّن والاستقرار أيام حُكم مملكة مالي جنوباً، والتسامح الذي نهجه ملوك شمال أفريقيّا.

كما سجّل لنا الرحّالة فيليب فرناندس (V. Fernandes)، أنَّ اليهود كانوا من الفئة الغنية، إلا أنّهم كانوا مضطهدين، وكانوا إما تجاراًمتجولين، أو صناع مجوهرات، وقد كانت لهم علاقات وطيدة بيهود قسنطينة، وبجاية، وتونس، ووهران، وتلمسان، ومراكش.(٢٨)

ولعلّ أهمّ عامل كرَّس ضرورة تنظيم العلاقات بين الجماعات اليهوديّة المنتشرة في مختلف المدن الكبرى المغاربية خلال هذه الفترة، هو وصول يهود إسبانيا وجزر البليار (Les Baléares)، وبداية اهتمام هؤلاء بالمسائل العقائدية والاجتماعيّة لبني جلدتهم، انطلاقاًمن مبدأ وحدة المصالح، وكان من نتائج هذا التكتل الاجتماعيّ، تنامي ظاهرة الشراكة التّجارِيَّة عبر الصَّحرَاء، ربما بشكل أكبر مما كان عليه لدى التجار العرب، والبربر المسلمين.

ومن هنا، يمكننا تفسير أنَّ السر في اهتمام ملوك أراغونا خلال القرنين السابع والثامن الهجريين (١٣-١٤م)، بالتجارة الصحراوية تمخض عن وعيهم بأهمّية الجالية اليهوديّة المتمركزة على الخط الممتد من برشلونة و ميروقة (Minorque)، وتلمسان وسجلماسة، وهي الطريق التي كان يعبرها الذهب والعبيد، الذي وصل جزء منه إلى شبه الجزيرة الإيبيرية. فليس من الغريب إنْ كانت الكارطوغرافية الأوروبية قد شهدت قفزة نوعية من حيث تطوير معارفها عن بلاد السودان، وأنْ تصدر مدارسها خصوصاًفي ميورقة إنتاجاًكارطوغرافيا لم يسبقُ له مثيل من قبلْ.

إلاّ أنّه مع أواخر القرن التاسع الهجري (١٥م)، سيعرف الوجود اليهوديّ تراجعاًملحوظاًفي الواحات الصحراوية؛ وذلك على إثر الحركة المعادية التي تبناها فقيه توات «عبد الكريم المغيلي» ضد اليهود، مما أثار زوبعة من النقاشات

في أوساط الفقهاء الذين تفرقوا بين معارض ومؤيد.

خلاصة القول أنَّ الحديث عن وجود واستقرار ملموس لليهود في بلاد السودان خلال العصر الوسيط، وبداية الحديث صعبةٌ للغاية ويغلب عليها الطابع الأسطوري؛ في ظلِّ غياب مصادر مادية تثبت الروايات التي أوردَتها بعض الكتب، إلا أنَّه لا يمكننا إنكار وجود تجار يهود جالوا بلاد السودان في عهد مملكتي مالي و سنغاي (القرنين ١٤- ١٦م)، إلى جانب التجار المسلمين، سواءً المنتمين من شمال أفريقيّا، أم من مصر، وإذا كانت بعض المصادر التاريخية تحدثت عن «عصر يهودي في الصَّحرَاء»، فإنَّ ذلك لا يُطبّق ـ كما يقول موني ـ إلا على شمال الصَّحرَاء الكبرى، وخصوصاً مدينة «توات»، وليس على باقي مناطق بلاد السودان، على الأقل خلال هذه الفترة الزمنية.

المبحث الثاني: دواعي ودوافع التوجه اليهوديّ إلى أفريقيّا جنوب الصَّحرَاء: القراءة والتأويل

بعد أنْ تعرفنا على الجذور التاريخية للوجود اليهوديّ في أفريقيّا جنوب الصَّحرَاء، يجدر بنا التذكير أنَّ السياسة اليهوديّة في أفريقيّا تقوم على ثلاث فرضيات أساسية هي:

الفرضية الأولى: أنَ إسرائيل دولة ديمقراطية صغيرة، تنتمي إلى العالم الثالث بمشاكله وطموحاته.

أما **الفرضية الثانية**، فتتمثل في كون إسرائيل معنية بالمساهمة في تنمية اقتصاد أفريقيّا جنوب الصَّحرَاء وتقدمها، بسبب تجربتها وتطورها الاقتصادي، على اعتبار أنها نموذج حضاري تقدمي يعتمد على نفسه.

الفرضية الثالثة: تشارك إسرائيل الأفارقة معاناتهم العنصرية.

شكَّلت هذه الفرضيات الثلاث، الأرضية التي تحركت عليها اسرائيل وتبلورت بموجبها العلاقات السياسيَّة والاقتصادِيَّة والعسكريّة الإسرائيلية ـ الأفريقيّة. وعليه، سوف نستعرض فيما يلي دعائم وأهداف الوجود اليهوديّ في أفريقيّا، ثم نستعرض مراحل هذا التغلغل.

إنَّ اتجاه الكيّان الصهيوني إلى أفريقيّا جنوب الصَّحرَاء جاء ضمن اطار العمل على كسر الحصار العربيّ، وتحقيق مطامع الصهيونية العالمية في السيطرة على الأسواق واستغلال ثروات تلك المنطقة، الغنية عن التعريف، وترسيخ موقعها في القارة الأفريقيّة بإقامة علاقاتٍ دبلوماسيةٍ مع أكبر عددٍ ممكنٍ من دولها، بهدف الحصول على الشرعية الدوليَّة، ورعاية مصالح ومواقع الغرب في أفريقيّا جنوب الصَّحرَاء.

أولاً: ـ (دعائم التوجه اليهوديّ إلى أفريقيّا جنوب الصَّحرَاء)

مهد الاستعمار الأوروبي الطريق أما الوجود اليهوديّ في أفريقيّا، فأفسح له المجال بنشاطٍ واسعٍ، وبناء أسس قوية لعلاقاتها مع الدول الأفريقيّة.

أ. الدعم الاستعماري لليهود:

مهد الاستعمار للحركة الصهيونية الأرضية التي استندت إليها في سعيها لاكتساح أفريقيّا من خلال عدة منابر، أسهَمَت في لقاءات مباشرة بين حركات وشخصيات من أفريقيّا والكيان الصهيوني من خلال مؤتمرات أحزاب الدوليَّة الأوروبية الاشتراكية، والتي شاركت فيها عدة أحزاب صهيونية، مثل حزب عمال اسرائيل (الماباي)، وأحزاب من أقطار أفريقيّة وخاصة من السنغال وغانا. وكذلك المؤتمرات العُمالية على المستوى الدولي، مثل المؤتمرات التي كان يعقدها اتحاد النقابات العمالية الحرة، وكان «للهستدروت» دوراً كبيراً فيها، سواءً عن طريق المشاركة في صياغة القرارات، أو بإتاحة الفرصة لإيجاد علاقات مع بعض النقابات العمالية الأفريقيّة، والتي نشأت وترعرعت في ظلَّ الحُكم الغربي، الفرنسي والبريطانيّ. ومن خلال الحركة الصهيونية في فرنسا وبريطانيّة وبلجيكيا والدول الأفريقيّة، وتمكن زعماء الوكالة اليهوديّة من خلالها، أن يقيموا علاقات مهمة مع شخصياتٍ أفريقيّة، وحركات سياسيَّة نشأت في فرنسا وبريطانيّة، مثل «ليوبولد سنغور»، و«فوليكس بوانيه» وغيرهما.(٢٩)

هذه القيادات نشأت وترعرعت في ظلَّ التراث الغربي اللاتيني والآنجلو ـ سكسوني؛ بحيث كان أمام الأفارقة الذين استعمرتهم فرنسا ـ سابقا ـ طريقاً واحداً للوصول إلى الوقائع والحقائق، سوى اللغة الفرنسية، والمعاهد والمنشورات الفرنسية. وكذلك بالنسبة للأفارقة الذين استعمرتهم بريطانيّا، فلم يتسنى للرأي العام الأفريقيّ، والحالة هذه، أن يعرف إلا ما كانت تُريد له الدّولة المستعمرة أن يعرف أو يتعلم. وقد حرصت الحركة الصهيونية من الاستفادة من اعتناق معظم

هذه القيادات المفاهيم الغربية، واصرار هذه القيادات على تطبيق هذه المفاهيم والقيم في مجتمعاتهم. وبهذا، كان من السهل على الكيان الصهيوني، الوصول إلى مبتغاه، والمتمثل في كسب ودِّ هذه القيادات للتأثير على مواقفهم.

ب. الوضع الجيوبولتكي:

إنَّ موقع الكيان الصهيوني له أهمّيته؛ حيث يعتبر نقطة الالتقاء بين قارات آسيا وأفريقيّا وأوروبا، فالمقاطعة العربيَّة، وإغلاق قناة السويس جعل اليهود يهتمون بخليج العقبة؛ الذي يوفر لهم الاتصال بالقارة الأفريقيّة، وتبادل المنتجات معهم، كما أن هذا الأمّر دفعهم إلى إقامة منطقة للنقل البحري بين ميناء العقبة على البحر الأحمر واشدود على البحر الأبيض المتوسط، من أجل نقل المواد القادمة من القارة الأفريقيّة إلى أوروبا والعكس.

ج. الوضع الدولي لليهود:

لأهمّية المنظمة الدوليَّة، كان لا بدَّ لليهود من البحث عن ثقل في داخل هذه المنظمة والتي كان عدد الدول الأفريقيّة فيها عند نشأتها أربع دول فقط، فعليًّاً كان ميزان القوى في يد الأوربيين والأمّريكان، وأصبَحَ من المؤكد أنَّ ازدياد عدد الأعضاء من أفريقيّا وآسيا سيؤثر على ميزان القوى في داخل المنظمة، في وقت كانت فيه القضية الفلسطينية ملتهبة في هذا الشأن. لذلك كان من الطبيعي ـ والصوت العربيّ مرتفعٌ جداً ـ أن تنشط إسرائيل في داخل أفريقيّا جنوب الصَّحرَاء، فقاموا بتدعيم نفوذهم السياسيّ داخل أفريقيّا عن طريق الجاليات اليهوديّة، والاتصال بالمؤسسات الأفريقيّة، بل حتى الانقسامات في أفريقيّا أصبَحَت تصب في صالح إسرائيل، فإذا كان السودان معاديا لإسرائيل، فبعد الانفصال أصبَحَت هناك دولة ضد إسرائيل، وأُخرى معها، أما نموذج أثيوبيا واريتريا فالدولتان حليفتان لإسرائيل رغم التذبذب في العلاقات.

د. الوضع الاقتصادي:

إنَّ دولة الكيان الصهيوني المزعومة أقيمت على أرض صغيرة، وبالتالي هي فقيرة من حيث الموارد، كما أنها في حالة حرب دائماً؛ لذلك كان لا بدَّ من حل هذه المعضلة الاقتصادِيَّة، لذلك لجأ الكيان الصهيوني إلى استخدام التكنولوجيا المتقدمة في التعامل مع موارده، هذا من جانب، ومن الجانب الآخر، تم الاتجاه إلى أفريقيّا لتدعيم مركزهم الاقتصادي، وكسر الحصار الاقتصادي الذي فرضه عليهم العرب، خاصة ونحن نعلم أن أفريقيّا جنوب الصَّحرَاء غنية بالموارد المادية المتنوعة التي تحتاج لمن يستغلها.

هـ. مشاكل دول أفريقيّا جنوب الصَّحرَاء:

كانت الدول الأفريقيّة عند استقلالها تعانى التخلف الاقتصادي، وعدم وجود الكوادر المساعدة اللازمة لبناء الدّولة الحديثة، وما كان لإسرائيل غير الإسراع بالاعتراف باستقلال هذه الدول، وإقامة علاقاتٍ دبلوماسيةٍ معها، وتقديم العون الاقتصادي والفني والثَّقافِيّ لها عبر الاتفاقيات الثنائية، وقد كان لهذا الأسلوب أثره في تطور العلاقات بين إسرائيل وبعض الدول الأفريقيّة.(٣٠)

ثانياً: أهداف التوجه اليهوديّ في أفريقيّا جنوب الصَّحرَاء

ركزت إسرائيل في مخططها للتغلغل في أفريقيّا جنوب الصَّحرَاء على تحقيق عدة أهداف كبرى تدور غالبيتها على محور أساس، وتنبع من منطلق البحث عن الأصدقاء، والكسب السياسيّ لتوكيد الأمّن والوجود الإسرائيلي، بعد أن وجدت نفسها في عزلة تهدد أمنها، وتزعزع وجودها، وبأنها جزء من العالم الأفرو ـ آسيوي، كنتيجةٍ للممارسات اليهوديّة في المنطقة العربيَّة بشكلٍ عامٍّ، ولارتباطها بدولة جنوب أفريقيّا بشكلٍ خاصٍّ. وفي هذا الصدد، يقول «بنجامين أكزين»، استاذ العلوم السياسيَّة في الجامعة العبرية: «إنَّ نقطة الارتكاز في سياسة إسرائيل الخارجية يجب أن تضمن وجود إسرائيل في الأسرة الدوليَّة».

ولتحقيق هذا الهدف الاستراتيجي، ركزت اسرائيل في سياستها الخارجية على أفريقيّا جنوب الصَّحرَاء، ويتجلى ذلك فيما قاله «بن جوربون»: «إنَّ الطريق الأكثَر ضماناً للوصول إلى السلام والتعاون مع جيراننا، لا يكون بدعوة شعب إسرائيل ووعظه بالسلام، كما يفعل بعض محبي السلام من البسطاء، ولكن عن طريق الحصول على أكبر عدد ممكن من الأصدقاء، الذين سيفهمون أهمّية إسرائيل وقدرتها على المساعدة في تقدم الشعوب النامية، والذين سينقلون ذلك المفهوم إلى جيراننا». انطلاقاً من ذلك، سعت إسرائيل لكسب الرأي العام الأفريقيّ، والحصول على تأييد أكبر عدد ممكن من الدول الأفريقيّة في المحافل الدوليَّة، أو على الأقل محاولة تحييده في مواجهة ما برز من تأييد بعض دول أفريقيّا جنوب الصَّحرَاء في الصراع العربيّ ـ الإسرائيلي، على ضوء ما تشكله مجموعة الدول الأفريقيّة من أغلبية لا يستهان بها في المجتمع الدولي. وعليه، يمكن تقسيم الأهداف اليهوديّة في أفريقيّا إلى أهداف سياسيَّة ودبلوماسية، و وأهداف أمنية، و اقتصادِيَّة.

أولاً :– (الأهداف السياسيَّة والدبلوماسية):

من أهداف التغلغل اليهوديّ في أفريقيّا وفق المخطط الاستراتيجي الإسرائيلي، تحقيق الأمّن في إطار ضمان الشرعية؛ لتحقيق السيطرة على المجال الإقليمي وصولاً للهيمنة، والتغلب على أي عقبة محتملة قد يثيرها العرب في المستقبل، لذلك سلكت إسرائيل سياسة تقوم على تحقيق الأهداف التالية:

١. كسر حدة العزلة الدوليَّة التي فرضتها عليها الدول العربيَّة ومن سار في فلكها، بالإضافَةً إلى محاولة كسب قواعد للتأييد والمساندة، وإضفاء نوع من الشرعية السياسيَّة عليها في الساحة الدوليَّة، وبالتالي، فإنَّ أي علاقة مع دولة أفريقيّة تعني تحييد أي مصدر محتمل لتأييد الدول العربيَّة. وفق ذلك، فإنَّ إسرائيل كانت تنظر إلى أفريقيّا جنوب الصَّحرَاء باعتبارها ساحة للنزال بينها

وبين العرب وفقاً لقواعد النظرية الصفرية.[٣١]

٢. كسب تأييد الدول الأفريقيّة من أجل تسوية الصراع العربيّ ـ الإسرائيلي؛ حيث تمَّ النظر إلى الدول الأفريقيّة باعتبارها بعيدة عن أي انحيازات مسبقة لصالح أي من الطرفين.

٣. العمل على تحقيق أهداف أيديولوجية توراتية خاصة بتقدمي إسرائيل على أنَّها دولة نموذج «لشعب الله المختار». يفسر ذلك أنَّ إسرائيل اعتمدت دائماً على تقديم المساعدات التقنية والتنموية للدول الأفريقيّة حتى في حال عدم وجود علاقات دبلوماسية معها.

٤. الوقوف في وجه نشاطات منظمة التحرير الفلسطينية: وهو من الأهداف المهمة التي سعت إسرائيل إلى تحقيقها من خلال تغلغلها داخل أفريقيّا جنوب الصَّحرَاء، يأتي هدف مقاومة نشاطات منظمة التحرير الفلسطينية السياسية والعسكريّة في القارة الأفريقية في سبعينات القرن الماضي، خصوصاً وانَّ التعاطف الأفريقي مع القضية الفلسطينية أصبَحَ واضحاً حين اعتبرت بعض الدول الأفريقية القضية الفلسطينية قضية أفريقية، ولذلك وافقت على قبول منظمة التحرير الفلسطينية كعضو مراقب في الجمعية العامة للأمم المتحدة عام ١٩٧٤، وقد صرح الرئيس الراحل ياسر عرفات في جولته عام ١٩٨٦ إلى بعض الدول الأفريقية الصديقة قائلاً «**لقد قالت أفريقيا وشعوبها وقادتها باعتبارهم أصدقاء حقيقيين في هذه الجولة، كما في الجولات السابقة، نعم لفلسطين**».[٣٢]

٥. بناء قاعدة استراتيجية لتحقيق الهيمنة الإقليميَّة؛ وذلك من خلال عقيدة الأطراف، حيث تعتمد إسرائيل على النيل من أطراف نظام الأمّن العربيّ باعتباره المستهدف في الاستراتيجية الإسرائيلية.

٦. المساهمة في الجهود الرامية إلى إبقاء أفريقيّا جنوب الصَّحرَاء ضمن النفوذ الأمّريكي، وتأمين خضوع مواردها وثرواتها للرأسمالية العالمية، ومقاومة

الوجود السوفياتي ـ سابقاً ـ في المنطقة، عن طريق ضرب القوى والحركات ذات التوجهات الاشتراكية، ونسف أسس ومقومات التضامن العربيّ ـ الأفريقيّ، وبالتالي حرمان العرب من أفريقيّا كعمق استراتيجي، واقتصادي، وأمني مهم.

ثانياً: – (الأهداف الاقتصادِيَّة):

إنَّ للقارة الأفريقية أهمّية اقتصادِيَّة كبيرة، كونها مستودعاً ضخماً لأنواع المعادن والمواد الخام المختلفة التي يبحث عنها الإسرائيليون؛ ففي المجال الزراعي تعد القارة محتكراً لكثير من الخامات الزراعية، فهي تنتج أكثَر من ثلاثة أرباع الإنتاج العالمي من الكاكاو، وتحتكر معظم إنتاج زيت النخيل، وثلث الإنتاج العالمي من الفول السوداني، وتكاد تحتكر الإنتاج العالمي للصمغ، وتحتل مكاناً مرموقاً في إنتاج أخشاب الغابات المدارية المطرية عالمياً. أما من حيث الثروة المعدنية، فأفريقيا تنتج نحو(٩٨٪) من الإنتاج العالمي من الماس ونحو(٨٠٪) من الذهب العالمي، وتأتي في المركز الثاني بعد أمريكا في إنتاج الفوسفات و تنتج حوالي ربع الإنتاج العالمي منه. كما أنها تحوي على اليورانيوم والقارة الإفريقية هي منجم العالم حيث تضم (٨٧ ٪) من مناجم العالم من الكروم، و(٨٩٪) من البلاتين، و (٥٩٪) من الكوبالت.[٣٣]

فوق هذا وذاك، تمتاز القارة الأفريقيّة بغناها بالثروة السمكية؛ حيث تبلغ قيمة الأسماك التي يتم تصديرها سنويا حوالي (٢,٧) مليار دولار أمريكي.[٣٤]

وهو ما يبرر الاهتمام المتزايد من إسرائيل بأفريقيّا جنوب الصَّحرَاء، والعمل على بذل الجهود من أجل التغلغل فيها لكونها سوقاً مستقبلة لتصريف المنتجات، وموردا للمواد الخام التي تحتاجها مصانعها ومصانع أوروبا و الولايات المتحدة. ولقد كانت إسرائيل ومنذ نشأتها المزعومة في عام (١٩٤٨)، تعتمد في الجانب الاقتصادي على المساعدات الاقتصادِيَّة من الجاليات اليهودية في الخارج، والمساعدات والهبات من الدول الاستعمارية والتعويضات الألمانية، فقد ساهمت

هذه التعويضات والمساعدات في تطور الاقتصاد الإسرائيلي، وشجع هذا التطور الاقتصادي إسرائيل للبحث عن وسيلة للفكاك من المقاطعة العربية من خلال البحث عن أسواق قريبة، ومجالات لنشاط اقتصادي واسع ومصدرٍ لاستيراد المواد الخام؛ فاتجهت نحو القارة الإفريقية حيث إنَّ إفريقيا جنوب الصَّحرَاء تشكل مجالاً حيوياً لطاقات إسرائيل، وإمكاناتها الإنتاجية والفنية؛ إذ طمحت إلى الحصول على مكاسب اقتصادِيَّة عبر التبادل التجاري، وإيجاد سوق كبيرة لصادرات الصناعة الإسرائيلية، كما سعت لضمان مـورد مهم للخامات المعدنية، وتصدير طاقات العمل الفائضة لديها من خبرات وخبراء.(٣٥)

وينظر الإسرائيليون إلى القارة الأفريقية على أنَّها قارة تتضمن أقطاراً متخلفة وغير مصنعة، وأنه لهذا، يمكن استثمار هذا التخلف لغزوها اقتصادياً، واجتياح أسواقها والاستئثار بمواردها الطبيعية، وعليه فإن مد النشاط إليها يساعد إسرائيل على الفكاك من المقاطعة الاقتصادِيَّة والتخفيف من تأثيراتها على مجمل الوضع الاقتصادي الإسرائيلي؛ ويقول «أبا أيبان» وزير خارجية إسرائيل الأسبق في كلمة له عام ١٩٦٤ **«إنَّ مستقبل إسرائيل الاقتصادي سيعتمد إلى حد كبير على نشاطها الاقتصادي في الدول النامية في آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية، وهذا بدوره يفرض عليها تطوير شبكة علاقاتها مع هذه الدول، فهذه القارات الثلاث ستظلَّ دوماً بحاجة إلى الدول المتقدمة تكنولوجياً والتي تمتلك وفرة من الخبراء، كما أنها ستظلَّ بحاجة إلى المنتجات الصناعية لهذه الدول»**.(٣٦)

مفاد القول، إنَ إسرائيل سعت منذ نشأتها المزعومة، إلى توثيق علاقاتها الاقتصادِيَّة مع بعض الدول الأفريقيّة جنوبي الصَّحرَاء، منطلقة من الأسس التي ركزتها قبل استقلال هذه الأخيرة، وجعلت منها (حصان طروادة)، في زحفها نحو أفريقيّا؛ فقد سعت إلى تمويل المشروعات الجديدة، تحت ستار الشركات المختلطة، والقروض؛ ففي غانا على سبيل المثال، وقبل أن يُعلن استقلالها تم إنشاء شركة (النجمة السوداء)، للنقل البحري برأسمال قدره حوالي (١٥٠,٠٠٠)

جنيه استرليني، اشتركت إسرائيل بـ (٤٠ بالمئة) من الرأسمال، والحكومة الغانية (٦٠ بالمئة)، وسرعان ما امتد نفوذ هذه الشركة ليشمل معهد البَحرِيَّة الغاني، وقد قبلت اسرائيل تأميم الشركة من قبل الحكومة الغانية، شرط أن يبقى لها حق إدارتها والإشراف عليها حتى عام ١٩٦٧م. وفي عام ١٩٥٧ وقعت غانا وإسرائيل اتفاقية منحت بموجبها غانا قرضا قدره (٢٠) مليون دولار أمريكي.

هذه المحاولات الإسرائيلية، كانت بمثابة الأرضية التي ستنبني عليها سياسة إسرائيل في التوغل داخل أفريقيّا جنوب الصَّحرَاء. ولهذا، يمكن حصر الأهداف الاقتصادِيَّة في النقاط التالية:

١. التأثير على اقتصاديات الدول العربيَّة لعرقلة نموها، وتحطيم الحصار الاقتصادي العربيّ، وتدعيم المركز الاقتصادي الإسرائيلي في دول أفريقيّا جنوب الصَّحرَاء.

٢. الحصول على المواد الأولية المطلوبة للصناعات اليهوديّة؛ وخاصة المعدنية والنباتية التي تتوفر بغزارة وبأثمان بخسة، والتي يسهل نقلها إلى الكيان الصهيوني من مصادرها الأولية، بهدف تحويل اسرائيل لمركز متقدم يعتمد على التكنلوجيا المتطورة.

٣. تشويه بنية الاقتصاد الأفريقي وربطه بالاقتصاد الإسرائيلي.

٤. السيطرة على منابع الثروة في الدول الأفريقيّة عن طريق إقامة شركات وطنيَّة صناعية لإنتاج السلع اللازمة للدول الأفريقيّة، تعتمد في إدارتها وتشغيلها على الخبرات والمعونات اليهوديّة، وفي تمويلها على القروض والمساعدات التي تقدمها لها إسرائيل.[٣٧]

يتضح لنا مما سبق، إنَّ كل هدف من هذه الأهداف يتضمن مجموعة من الأهداف الفرعية؛ فالتبادل والتعاون الاقتصادي ينطوي على خلق أسواق لترويج المنتجات الإسرائيلية، وحصولها على ما تحتاج إليه من مواد خام أو مواد

طبيعية، وايجاد مجالات لاستثماراتها، وتشغيل أموالها، ثم ربط موانئها ومطاراتها ومنافذها بشبكة من الخطوط الملاحية البرية والبَحرِيَّة والجوية، فَضلاً عن تعويض المقاطعة العربيَّة لها.

ثالثاً : الأهداف العسكريّة والأمّنية

لم تقتصر علاقات إسرائيل مع الدول الإفريقية على تحقيق الأهداف السياسية والاقتصادِيَّة فقط، بل تعدتها إلى المجال العسكريّ والأمّني؛ إذ إن إسرائيل اهتمت بالمؤسسة العسكرية الإفريقية على اعتبار أنها جماعة ضغط قوية، يمكن الاعتماد عليها في تحقيق الأهداف الإسرائيلية في أفريقيّا جنوب الصَّحرَاء، وتوثيق العلاقات مع دولها. ويشكل الجانب العسكريّ أهمّية محورية بالنسبة للأنشطة اليهوديّة في المنطقة وإن كان الجانبان الاقتصادي و السياسي، قد شغلا موقع الصدارة في المراحل الأولى، فإنَّ الأنشطة العسكرية كانت دعماً للمجالين السياسي والاقتصادي؛ حيث ارتبطت كغيرها من جوانب الأنشطة الأُخرى بشكل تام بالاستراتيجية الصهيونية تحت مصطلح دبلوماسية السلاح.

وعلى الرغم من السرية التي ظلَّ يتبعها الكيان الإسرائيلي في نشاطه العسكريّ داخل المنطقة، فإنَّ هذا النشاط قد اشتمل على إقامة قواعد عسكرية، ومراكز استخباراتية، ومختلف مجالات التدريب، وإعداد الإطارات العسكريّة من جنود وضباط أفارقة، وبالطبع، فإنَّ الهدف الإسرائيلي من هذا التعاون العسكريّ، هو تكوين جماعات من العسكريين الأفارقة كقوة تدافع عن أهداف إسرائيل داخل الأجهزة الإدارية الحكومية في بلادهم.

من هنا، يمكن القول: أنَ إسرائيل كانت تهدف من خلال علاقاتها مع الدول الأفريقيّة جنوبي الصَّحرَاء، إلى تحقيق الأهداف العسكريّة التالية:

١. التغلغل في القوات المسلحة للدول الإفريقية من خلال التدريب والتسليح.

٢. بيع الأسلحة والمعدات لبعض الدول الأفريقيّة، حيث لعبت صفقات الأسلحة دوراً مهمًّاً في تعزيز التغلغل اليهوديّ في إفريقيا جنوب الصَّحرَاء؛ حيث تقدم الأسلحة للحكومات لقمع الحركات الثورية والمتمردة، وفي ذات الوقت تقدم الأسلحة لهذه الحركات المتمردة، كما تقدمها للأطراف المتنازعة، وقد ذكرت صحيفة «يديعوت أحرونوت» الإسرائيلية، أنَّ إسرائيل تعقد صفقاتٍ لبيع الأسلحة للدول الأفريقية بمليارات الدولارات، وأنها عقدت في عام ١٩٥٥ وحده حوالي (١٣٠٠) صفقة، وأن مبيعاتها من الأسلحة بلغت في عام ١٩٦٦ حوالي (١,٤) مليار دولار.

٣. إقامة قواعد عسكريّة في بعض الدول الأفريقيّة.

٤. إنشاء التنظيمات العسكريّة وشبه العسكريّة.

أما بالنسبة **للأهداف الأمّنية**، يمكننا إيجازها في الآتي:

١. ضمان أمن إسرائيل.

٢. تهديد أمن الدول العربيَّة الأفريقيّة.

٣. التركيز على دول حوض النيل، بغية التأثير على الأمّن المائي والغذائي العربيّ.[٣٨]

المبحث الثالث: تأثيرات الوجود اليهوديّ على الأمّن القوميّ العربيّ، وسبل مواجهته :

من اللافت للنظر أنَّ التدخل اليهوديّ الواسع النطاق في أفريقيّا جنوب الصَّحرَاء خاصةً في مرحلة ما بعد الحرب الباردة، ارتبط بحالة من التراجع الواضح للدور العربيّ ولا سيما المصري في أفريقيّا جنوب الصَّحرَاء. وعليه، يمكننا القول بأنَّ الفرصة مواتية أمام إسرائيل أكثَر من أي وقت مضى لاستعادة أمجاد عصرها الذهبي، ولعلَّ مكمن الخطورة في هذا التمدد الإسرائيلي يتمثل في اختراق منظومة الأمّن القوميّ العربيّ ككل، وتهديد نظم الأمّن الوطنيَّة لبعض الدول العربيَّة تحديداً مثل مصر، والسودان، والمغرب العربيّ. ويمكننا تحديد أهمّ التأثيرات اليهوديّة على الأمّن القوميّ العربيّ في النقاط التالية:

١. اختراق النظم الأمّنية والإقليميَّة الخاصة بالقرن الأفريقيّ بمفهومه الجيوسياسيّ، باعتباره ممراً وبوابة للممرات البَحرِيَّة الكبرى التي تطل على المنطقة العربيَّة، وهي المحيط الهندي والبحر الأحمر. ونظراً لارتباط هذا الإقليم بالصراع العربيّ ـ الإسرائيلي؛ فقد اعتبره بعض المحليين جزءاً من منظومة الإقليم الأفريقيّ الشرق أوسطي. وقد حاولت إسرائيل منذ البداية أن يكون لها منفذ بحري على البحر الأحمر؛ حيث أضحى «ميناء إيلات» بوابتها التّجارِيَّة على آسيا، وهي تعمل جاهدة للحيلولة دون أن يكون البحر الأحمر بحيرة عربيّة. ومن المعروف في فقه العلاقات الدوليَّة، أنَّ الأهمّية الاستراتيجية للبحر الأحمر باعتباره ممراً مائياً مهمّاً يربط بين البحر المتوسط والمحيط الهندي، أمر لا يقبل الجدل أو التشكيك في أي تفكير استراتيجي. وقد برزت خطورة هذا البحر واضحة بالنسبة لإسرائيل منذ لحظة وجودها الأولى ككيان مصطنع في قلب الجسد العربيّ عام ١٩٤٨؛ إذ أصدر «بن غوريون» تعليماته لوزير حربه «موشيه ديان»، بأن يُضحي بأيّ شيء مقابل أي يحصل على منفذ مائي على البحر الأحمر. وهذا ما حصل بالفعل حينما احتلت القوات الإسرائيلية موقع قرية «أم الرشراش» عام ١٩٤٩، وحولتها بعد ذلك

إلى ميناء إيلات الاستراتيجي. ولا شكَّ أنَّ إسرائيل تصبح دون البحر الأحمر وقد قطعت كل اتصالات لها مع آسيا وأفريقيّا، ولعلها اكتشفت تلك الحقيقة بشكلٍ واقعي في حرب أكتوبر ١٩٧٣، حينما أغلقت البَحرِيَّة المصرية في وجهها البحر الأحمر عند مضيق باب المندب.(٣٩)

٢. إشعال الخلاف بين دول المنبع والمصب لحوض النيل؛ إذ لا يخفى على أي باحث أو مهتم بالشأن الأفريقيّ إنَّ لإسرائيل أحلاماً قديمةً في الحصول على حصّة من مياه النيل لري صحراء النقب، وهو ما عبّر عنه عملياً المهندس الإسرائيلي «إليشع كيلي» عام ١٩٧٤ بتصميم ترعة لسحب المياه من أسفل قناة السويس، وإيصالها إلى إسرائيل. وتحرص الدّولة العبرية على تكثيف وجودها في جميع دول المنبع الأفريقيّة، مثل إثيوبيا، وإرتيريا، وكينيا، وكونغو الديمقراطية. ويلاحظ أنَّ السياسة الإسرائيلية قد ركّزت منذ أواخر الثمانينيات من القرن الماضي على ترشيد توجيهاتها الأفريقيّة بالتركيز على مناطق نفوذ محدّدة. ولعّل أبرز تلك المناطق، القرن الأفريقيّ وحوض النيل؛ فإسرائيل تحتفظ بَثّلاث سفارات مهمة في كل من إثيوبيا، وإريتريا، وكينيا. كما يلاحظ كذلك، أنَّ إسرائيل تحاول جاهدة مواجهة الخطر الإسلاميّ المتصاعد في هذه المنطقة، ولا سيما في ظلَّ ضعف الدّولة أو انهيارها، كما هو الحال في «الخبرة الصومالية». وتنظر إسرائيل إلى هذه المخاوف الأمّنية باعتبارها تهديداً مباشراً لأمنها القوميّ. على أنَّ الهدف الأكثَر أهمّية الذي تسعى إليه الدبلوماسية الإسرائيلية، يتمثل في تطويق منظومة الأمّن القوميّ المصري عبر تأليب دول منابع نهر النيل على مصر والسودان من خلال رفع المطالب الخاصة بإعادة النظر في توزيع حصص مياه النيل.

٣. محاولة تفجير مناطق الأطراف للنظام الإقليمي العربيّ في أفريقيّا جنوب الصَّحرَاء، بالإضافَةً إلى خلق بؤر للتوتر والنزاع في مناطق التماس العربيَّة ـ الأفريقيّة؛ حيث عملت السياسة الإسرائيلية ـ وفقاً لمبدأ شد الأطراف ـ من أجل تفجير بعض الدول من الداخل، مثل السودان وموريتانيا، كما أنَّها عملت من

جهةٍ أُخرى، على خلق بذور العداء بين الشعوب العربيَّة والأفريقيّة، وذلك وفق أُسس ودعاوى دِينيَّة، وعرقية، وثقافية.(٤٠) وينطلق الفكر الصهيوني من قناعة راسخة بأنَّ العالم العربيّ تتنازعه الانقسامات العرقية والطائفية والدِّينيَّة، ومن ثم يصبح من السهل اختراقه واضعافه من الداخل، من خلال التآمر عليه مع تلك الأقليات، وتشجيعها على التمرد، وإقامة دويلات منفصلة قد ترتمي في أحضان كيانات إقليميَّة أُخرى غير عربيّة. ترى إسرائيل بأنَّ وجود تلك الدويلات التي تحكمها أقليات دِينيَّة أو ثقافية هي الوسيلة المثلى لإنهاك الوطن العربيّ من الداخل، ومن ثمَّ يسهل ـ فيما بعد ـ تجزئته وتفتيته.

٤. ضرب المصالح العربيَّة في العمق الأفريقيّ؛ إذ لا يخفى أنَّه توجد جاليات عربيّة مؤثرة في بعض الدول الأفريقيّة، وهي تأتي في الغالب الأعم من بلاد الشام. ورغم حالة التمكّن الاقتصادي لهذه الجاليات، إلا أنَّها لا تمارس دوراً سياساً فاعلاً، وربما يُعزى ذلك إلى محاولات خفية لإثارة نزعات وطنيَّة وعنصرية، ولعلّ وجود العديد من المستشارين الإسرائيليين في كثير من دول غرب أفريقيّا، وكثافة المصالح الإسرائيلية في المنطقة تدفع بنا إلى **التساؤل حول حقيقة الأيادي الإسرائيلية في محاربة الوجود العربيّ في أفريقيّا جنوب الصَّحرَاء.**

خلاصة القول، يتبين لنا من خلال ما سبق ذكره أنَّ الاستراتيجية الإسرائيلية في أفريقيّا جنوب الصَّحرَاء تنال بشكلٍ عامٍّ من أسس ودعائم الأمّن القوميّ العربيّ، في صياغاته الكليَّة، كما أنَّها تطرح على المحك، الدَّور والمصالح الحيوية لبعض دول الأركان العربيَّة في أفريقيّا، مثل مصر، والسودان، والجزائر.

الجهود العربيَّة المبذولة لمواجهة الزحف اليهوديّ على أفريقيّا جنوب الصَّحرَاء

إنَّ مواجهة تأثيرات العالقة الإسرائيلية ـ الأفريقيّة على الوطن العربيّ وأمنه القوميّ يحتم على العرب القيام بأمور عديدة، أهمّها:

١. إعادة تصحيح المفاهيم التي تعكس المخزون الثَّقَافِيّ والحضاري المتعلق بالعروبة والإسلام، والأفريقانية، وإزالة أي إمكانية متصورة للصدام؛ أي العمل على تصحيح الصورة الذهنية والقوالب الجامدة المرتبطة عند كل طرف، والتعامل الجاد والواعي مع القضايا الحساسة في تاريخ الذاكرة الجماعية لأطراف الحوار، مثل «قضية الدَّور العربيّ والإسلاميّ في تجارة الرقيق الأفريقيّة».

٢. عدم اختزال العلاقات مع دول المنطقة في مجال واحد من المقايضات السياسيَّة، والمقابل التجاري؛ إذ ينبغي إقامة شراكة حقيقية في إطار منظومة دول الجنوب، ويمكن أنْ تتحقق هذه الشراكة عبر مناهج ومسارات متكاملة: الثنائي، ودون الإقليمي، والجماعي، والمؤسسي.

٣. التركيز على المدخل غير الحكومي، لا سيما مؤسسات ومنظمات المجتمع المدني، التي تستطيع أن تستفيد من المواريث الحضارية والثَّقَافِيّة، فثمة مكون اجتماعيّ عربيّ وإسلامي في دول المنطقة لا يمكن لأحد إنكاره.

٤. التوكيد على مدخل ووسائل القوة الناعمة لبعض الدول العربيَّة الكبرى مثل مصر والجزائر والسعودية والصاعدة كقطر، وذلك من أجل كسب عقول الأفارقة وقلوبهم. يعني ذلك احتواء النفوذ الإسرائيلي في أفريقيّا من خلال أدواته وآلياته نفسها.

٥. تفعيل التمثيل الدبلوماسي العربيّ داخل الدول الأفريقيّة؛ للاهتمام بالمصالح القومية والاستراتيجية للدول العربية في أفريقيا.

٦. كشف النوايا والأهداف الحقيقية لإسرائيل وأمريكا داخل أفريقيّا جنوب

الصَّحرَاء، وتوحيد الجهود العربية والأفريقية للوقوف في وجه هذه المخططات.

٧. العمل على إيجاد حلول لمشكلات اللاجئين والمجاعات نتيجة الحروب الأهلية، والتي تتخذها الدول الغربية وأمريكا ذريعة للتدخل في شؤون بعض الدول الأفريقيّة، والتي إذا تركت على حالها فسوف تنعكس على الجانب العربيّ سلبيا.

٨. تزويد مكاتب الإعلام والسفارات العربية في إفريقيا بنشرات وكتب وصحف موجهة إلى إفريقيا، لتوضيح الحق العربيّ، وإبراز خطأ وجهة النظر الإسرائيلية وعدوانيتها، وفضح المواقف الإسرائيلية المعادية للبلدان الأفريقية.

٩. وضع برامج للمساعدات الثقافية ضمن نطاق خطة عربية موجهة لمجابهة التغلغل الإسرائيلي فيها، على أنَّ تنشأ مؤسسات لاستيعاب الطلبة والعمال والموظفين الوافدين من إفريقيا للدراسة أو التدريب، وإرسال الخبراء والاساتذه إلى البلدان الأفريقية، وتشجيع تدريس اللغة العربية فيها، وتوسيع قاعدة المنح الدراسية للطلبة الأفارقة في الجامعات والمعاهد المختلفة في الدول العربية، وتطوير وتفعيل جميع المؤسسات التعليمية المعنية بالعلاقات العربية -الإفريقية، والمناهج والمقررات الدراسية المتعلقة بذلك.[٤١]

زبدة القول أنَّ التحديات المطروحة في ظلِّ النظام الإمبريالي العاملي الجديد هي جد خطير، كما أنَّ الهجمة الإسرائيلية الراهنة على جوارنا الأفريقيّ تعد أشد خطرا، ومن ثم، فإنَّ الاستجابة لها لابدَّ أن تكون في المستوى نفسه من الجدية. وفي المقابل، إنَّ تحديات العولمة الراهنة وما تفرضه من مخاطر على كلٍّ من الشعبين العربيّ والأفريقيّ، تقضي بأهمّية عودة التلاحم والتضامن بين الطرفين، وهو ما ينعكس على أجندة تنظيمات العمل الجماعي المشترك لدى الفريقين، ولا سيما الاتحاد الأفريقيّ، وجامعة الدول العربيَّة. ومن أجل تحقيق ذلك، لابدَّ للموقف السياسيّ أن يدعم الشروع في تأسيس حوار استراتيجي جديد بين

العرب والأفارقة، تطرح من خلاله كل القضايا المشتركة، بهدف الوصول إلى رؤية مواجهة تلك القضايا التي تفرضها إسرائيل ضد الجانبين.

وقبل أنْ نختم دراستنا هذه، وتماشياً مع الخطة المنهجية التي وضعناها لعملنا هذا، يتوجب علينا إلقاء نظرة سريعة على **إشكاليَّة إسرائيل والصراع في حوض النيل وتأثيراته**. غايتنا في ذلك، الوقوف عند المخططات والأطماع الإسرائيلية في المنطقة العربيَّة والأفريقيّة، وفضحها، وإزالة الستار الذي تدعيه إسرائيل، بأنَّ وجودها في أفريقيّا جنوب الصَّحرَاء جاء لمساعدة الشعوب والوقوف إلى جانبها، وبالتالي مساعدتها لتحقيق التنمية المستدامة.

(إسرائيل والصراع في حوض ومنابع النيل وتأثيراته)

إنَّ المطامع الصهيونية في مياه النيل تعود إلى بدايات القرن العشرين، ولإحساسها بأنَّ المياه ستكون مصدراً للتوتُّر والنزاع، عملت على إقامة تنسيق وتعاونٍ مع الولايات المتحدة الأمّريكيَّة في مجال التكنولوجيا المائية، وهذا التعاون مكمِّل للدعم السياسيّ والعسكريّ الأمّريكي لإسرائيل. وفي هذا الصَّدد، ترى مصادر البحوث الإسرائيلية: أنَّ نهر النيل هو المصدر المائي الذي يمكنه حلّ أزمة المياه مستقبلاً في إسرائيل، وهذا ما يشجع إسرائيل على توطيد علاقاتها مع الدول التي تستفيد بشكل أساس من نهر النيل، ولاسيما «مصر» و»إثيوبيا». ففي منتصف السبعينيات ظهرت مقالات في الصحافة الإسرائيلية تدْعو إلى ضرورة شراء مياه النيل وتحويلها إلى النقب، وقد كان الرئيس المصري الراحل «أنور السادات» طرح فكرة مدّ مياه النيل إلى صحراء النقب في حالة تحقيق السلام الشامل والكامل مع إسرائيل، إلا أنَّ الفكرة لم تنفَّذ بسبب معارضة الجبهة الداخلية المصرية.

وفي السنوات القليلة الماضية بدأ الدَّور الإسرائيلي ينشط من جديد؛ إذ بدأت سلسلة نشطة من الاتصالات مع دول منابع النيل، خصوصاً إثيوبيا (حيث

زار رئيس وزرائها زيناوي تل أبيب أوائل يونيو ٢٠٠٤)، وأوغندا لتحريضهما على رفض اتفاقية مياه النيل القديمة المبرمة عام ١٩٢٩ بين الحكومة البريطانيّة ـ بصفتها الاستعمارية ـ نيابة عن عدد من دول حوض النيل (أوغندا وتنزانيا وكينيا)، والحكومة المصرية، تتضمن إقرار دول الحوض بحصة مصر المكتسبة من مياه النيل، وإنَّ لمصر الحق في الاعتراض في حالة إنشاء هذه الدول أي سدود على النيل. وبالفعل فقد أعلنت إثيوبيا رفضها لاتفاقية ١٩٢٩ واتفاقية ١٩٥٩ في جميع عهودها السياسيَّة منذ حكم الإمبراطور، ثم النظام الماركسي «منغستو»، وحتى النظام الحالي.

ومع أنَّ هناك مطالبات منذ استقلال دول حوض النيل بإعادة النظر في هذه الاتفاقيات القديمة، بدعوى أنَّ الذي أبرمها ليس الحكومات القوميَّة بل أبرمها الاحتلال نيابة عنها، وأن هناك حاجة لدى بعض هذه الدول، خصوصاً كينيا وتنزانيا إلى موارد مائية متزايدة؛ فقد لوحظ أن هذه النبرة المتزايدة للمطالبة بتغيير حصص مياه النيل تعاظمت في وقت واحد، مع تزايد التقارب الإسرائيلي من هذه الدول، وتنامي العلاقات الأفريقيّة مع إسرائيل. في المقابل، أخفقت مصر في إدارة ملف المياه خلال ١٤عاماً من المفاوضات مع دول حوض النيل منذ إطلاق مبادرة حوض النيل عام ١٩٩٧.

وما تزيد خطورةَ الموقف الإثيوبي العلاقاتُ الاقتصادِيَّة والسياسيَّة والعسكريّة والفنية المتنامية بين إثيوبيا وإسرائيل، حيث تحاول إسرائيل الضغط على مصر من خلال هذا التعاون، بإنشاء (٢٦) سدًّا على نهر النيل الأزرق ونهر السوباط لري (٤٠٠) ألف هكتار، وإنتاج (٣٨) مليار كيلو واط من الطاقة الكهرومائية. الأمّر الذي سيحرم مصر من (٥) مليارات متر مكعب من المياه، متجاوزة بذلك القانون الدولي والاتفاقات التي حددت اقتسام مياه النيل بين دول الحوض، كما ترفض إثيوبيا دائماً الانضمام إلى أي اتفاق قانوني ينظم العلاقة بين دول الحوض، وهو الأمّر الذي يهدد الموارد المائية المستقبلية لمصر

والسودان. وقد تُوِّجت هذه المشروعات بمشروع سد النهضة العملاق (الذي يعدّ في حال تنفيذه وفق المخططات الإثيوبية أحد أكبر عشرة سدود في العالم)، وحرص المسؤولون في إثيوبيا على تقديم الشكر لإسرائيل مع بداية تنفيذ أعمال المشروع، فقد استغلت إسرائيل المتغيرات الإقليميَّة خاصةً بعد عام ٢٠١١، إذ دخلت خلال السنوات الخمس الماضية ٣ دول عربيّة أفريقيّة، هي: مصر وليبيا وتونس، في صراعات داخلية أدت إلى انكفائها داخليًّا، وتراجع نفوذها في أفريقيّا، وهذا عزز النفوذ الإسرائيلي، ولاسيما في دول حوض النيل. كما أنَّ إسرائيل استثمرت حالة التعبئة الدوليَّة للحرب على الإرهاب، وقدّمت نفسها حليفاً دوليّاً ذا خبرة واسعة في محاربة الإرهاب والتطرف، كمساعدتها للحكومة الكينية في محاربة حركة الشباب المجاهدين، وتحت هذه الذريعة وسّعت إسرائيل اختراقها للدول الأفريقيّة، وعززت علاقاتها الاستخبارية والأمّنية مع العديد من الدول، ولاسيما إثيوبيا وكينيا وجنوب أفريقيّا.[٤٢]

وفي الجهة المقابلة، نعتقد بأنَّ الدعم الإسرائيلي العسكريّ والأمّني للحركات والمنظمات المعارضة من شأنه أن يشجع على استفحال المشاكل في دول حوض النيل، بالإضافَةً إلى تشجيع الخلافات الواقعة بين هذه الدول لإغراق المنطقة بالحروب والصراعات، كي تحصل على فرصة التحكَّم بمصير المنطقة، وتحديد مراكز القوى، والتحكم في قراراتها.

استناداً إلى المعطيات السالفة الذكر، يبقى السؤال المطروح هنا: **هل لا يزال أحدٌ يُصدقُ الرواية الإسرائيلية المزعومة، والتي تتلخص بأنَّ وجودها في منطقة أفريقيّا جنوب الصَّحرَاء كان لخدمة مصالح شعوب وحكومات تلك الدول، لا أكثَر ولا أقل؟ وأنَّ هذا التغلغل، لا يحمل في طياته أي مطامع ومصالح خفية قد تُستغل للسيطرة على خيرات وثروات المنطقة في المستقبل؟**

بالطبع، لا نعتقدُ بأنَّ أي شخصٍ عاديٍ مهما كان مستواه العلمي، أو أي

باحث عربيّ أو أفريقيّ مسلم متمرس بتاريخ المنطقة، أنْ يصدق الادعاءات الإسرائيلية هذه، التي لا تستند على أي مدلول أو برهان علمي على أرض الواقع، بل على العكس، سوف يشاطرنا في رأيينا وتحليلنا، «بأنَّ الوجود اليهوديّ في أفريقيّا جنوب الصَّحرَاء، ما هو إلا وجه من أوجه الاستعمار الحديث الذي جاء لهدفٍ واحد فقط، ألا وهو: استغلال ونهب خيرات المنطقة بأي شكلٍ من الأشكال».

الخاتمة :

بعد أنْ انتهينا من دراسة هذا الموضوع الشاق والممتع في آنٍ واحدٍ، ما الخاتمة التي يتحتَّمُ علينا وضعها لهذا العمل؟

أول ما يجبُ الإقرار به أنَ أفريقيّا جنوب الصَّحرَاء كانت ولا تزال إحدى أهمّ المناطق التي تجتمع فيها المصالح الاقتصادِيَّة، والاستراتيجية، والسياسيَّة للدول الأوروبية، ولما كانت إسرائيل قد وجدت لتكون أداة لحماية هذه المصالح، والدفاع عنها، ولتكون في الوقت ذاته، واجهة وحامية لأصحاب تلك المصالح من دول الغرب الاستعماري، فإنَّه لأمرٍ طبيعيٍ أنْ تتركز أنظارها على تلك المنطقة، لتحل محل الاستعمار الغربي؛ فأفريقيّا جنوب الصَّحرَاء، تختزن في باطن أرضها مجموعة هائلة من المعادن، ومواد الخام، ومصادر الطاقة، والثروة الحيوانية، كما أنَّها تشكل ميدانا في غاية الأهمّية للاستثمارات التي تحقق الأرباح الطائلة، فَضلاً عن موقعها الاستراتيجي المتميز، وأهمّية خطوط المواصلات البَحرِيَّة والجوية.

وعليه، كان واضعوا السياسة الخارجية الإسرائيلية يدركون أنَّه لا بد من احتلال مواقع مؤثرة في المنطقة، من النواحي كل: السياسيَّة، والاقتصادِيَّة، والعسكريّة، لأنَّ ذلك من شأنه أنْ يحقق فوائد كبيرة لإسرائيل على مختلف الأصعدة. لكن على الرغم من ذلك، يمكن القول: إنَّ نجاح إسرائيل في تغلغلها في أفريقيّا جنوب الصَّحرَاء، لا يعني تحت أي ظرف من الظروف، أنَّه لن يكون بمقدور أية إجراءات عربية مضادة، أو تحرك عربيّ فعّال مواجهة النشاط الإسرائيلي فيها، وحصر تأثيراته والحيلولة دونه ودون بلوغ أهدافه القريبة والبعيدة، إذا ما تواصلت الجهود العربية لدعم التعاون العربيّ ـ الإفريقي. ويمكن للعرب من خلال تطوير علاقاتهم مع الدول الأفريقية، وتكثيف اتصالاتهم معها، وتوسيع دوائر نشاطهم فيها، أنْ يوقفوا المد الإسرائيلي في مختلف أنحائه، أو على الأقل أنْ يحدوا منه.

الهوامش

١) محمد عبد الكريم، «إفريقيا في الفكر اليهودي»، مجلة قراءات إفريقية، العدد ٤٣، يناير (٢٠٢٠)، ص١٠.

2) Springer, Anthony Joseph, Augustine use of scripture in his anti, Jewish polemic, Faculty of the Southern Baptist Theological Seminary, December, 1989, p. 32.

3) Williams, Joseph, Hebrewisms Of West Africa; From Nile to Niger with the Jews, George 323- Allen & Unwin Ltd, London, 1930, p.321.

٤) محمد عبد الكريم، «إفريقيا في الفكر اليهودي»، ص١١.

٥) محمد عبد الكريم، «إفريقيا في الفكر اليهودي»، ص١١.

6) Mendelssohn, Sidney, The Jews of Africa, Especially in the sixteenth and Seventeenth, Centuries Kegan Paul, London, 1920, p.21.

٧) محمد عبد الكريم، «إفريقيا في الفكر اليهودي»، ص١٣.

8) Power, Timothy, The Red Sea from Byzantium the American, 1000- to the Caliphate AD 500, University in Cairo, Press, 2003, p. 203.

٩) «إفريقيا في الفكر اليهودي»، ص١٣.

10) Mendelssohn, Sidney, The Jews of Africa, op.cit, p23.

١١) الشريف الإدريسي، أنس المهج وروض الفرج: قسم شمال إفريقيا وبلاد السودان، تحقيق، الواحي النوحي،) الرباط: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠٠٧)، ص١٩.

١٢) الإدريسي، أنس المهج وروض الفرج، ص١٩.

١٣) الإدريسي، أنس المهج وروض الفرج، ص ١٠٥-١٠٦.

14) Conrad (David C), Islam in the oral traditions of Mali, Bilal and Surakarta, In Journal of African History, Vol 26, 1985, No 1, pp 33-49.

١٥) الإدريسي، أنس المهج وروض الفرج، ص ١٩.

١٦) أنس المهج وروض الفرج، ص١٠٥.

17) Diogo Gomes, De la première découverte de la Guinée, tard. Th. Monod, R. Mauny et G.Duval, Bissau, 1959, p20.

18) Fernandes (V), Description de la côte Occidentale d'Afrique (Sénégal au Cap de Monte, Archipels), Ed. et Trad. Par TH. Monod, A. Teixeira Da Muta et (R)Mauny, Centro de Estudes de Guinée Portuguesa, No, 11, Bissau, 1951, pp. 79-82.

19) Lucas (AJ), Considérations sur l'ethnique maure et en particulier sur une race ancienne, les Bafours, In

Journal de la société des Africanistes, T.I, 1931, pp 151-194.

20) Marty (P.),1921, Etudes sur l'islam et les tribus maures: les Brakna, Paris, E. Leroux, p 234.

٢١) تشير الروايات إلى أنهم أول من أدخل زراعة النخيل، وتربية الخيول وبالإضافة إلى تقنيات جديدة في ميدان الري، كما أدخلوا أيضا الحدادة، وحفر الآبار.

22) Mauny (R); Tableau Géographique de l'ouest Africain au moyen - âge Mem, de I.F.A.N.B, No 61, Dakar, 1961, p 458.

٢٣) محمود كعت، تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، تحرير وتقديم: حماة الله ولد السالم (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٢)، ص٦٢.

٢٤) كعت، تاريخ الفتاش، ص ٦٤.

25) Mauny (R);Tableau Géographique..., p 460.

٢٦) زليخة بن رمضان، المجتمع والدين والسلطة في إفريقيا الغربية ما بين القرنين ١١و ١٦م، ج.٢،) الرباط: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠١٥)، ص ٣٣٣.

٢٧) الوزان الفاسي، الحسن بن محمد (المعروف بليون الإفريقي)، وصف إفريقيا، ترجمه عن الفرنسية: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج.٢،)بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٣(، ص١٢٨.

28) Fernandes (V), Description de la côte Occidentale

d'Afrique, p 85.

٢٩) حلمي عبد الكريم الزغبي، مخاطر التغلغل الإسرائيلي في إفريقيا، الكويت: دار كاظمة للنشر والتوزيع، ١٩٨٥، ص. ٣٥.

٣٠) الزغبي، المرجع نفسه، ص. ٣٨.

٣١) نظيرة محمود خطاب، إسرائيل تدق أبواب إفريقيا من جديد، مجلة شئون عربية، العدد٤٧، سبتمبر ١٩٨٦، ص ١٧٥.

٣٢) إبراهيم عبد الرحمن، أفريقيا بين التسوية والصراع العربي ـ الإسرائيلي، المستقبل العربي، العدد٤٩، مارس ١٩٨٣، ص ٦١-٦٢.

٣٣) نادر السيوفي، حرب الموارد في إفريقيا، مكتبة الشريف الأكاديمية، الخرطوم، ٢٠٠٨، ص. ٨١.

٣٤) محمد المختار، الاستثمار في إفريقيا: آمال وتحديات، مجلة قراءات إفريقية، (العدد ٤، سبتمبر ٢٠٠٩)، ص.٧.

٣٥) محمد المختار، الاستثمار في إفريقيا، مرجع سابق، ص.٧.

٣٦) عبد الكريم الزعبي، القارة الأفريقية وأولويتها في السياسة الخارجية الصهيونية، مرجع سبق ذكره، ص ٣.

٣٧) جوزيف رامز أمين ،العلاقات الإسرائيلية ـ الأفريقية، وزارة الإعلام، سلسلة دراسات دولية ،القاهرة العدد ٤٦، يوليو (٢٠٠٣)، ص ٣.

٣٨) كمال الشكري، التغلغل الإسرائيلي في إفريقيا وأثره على الأمن القومي العربي، أطروحة دكتوراه في العلاقات الدولية، جامعة دمشق، كلية العلوم السياسية، العام الدراسي (٢٠١١-٢٠١٢)، ص. ٦٤.

٣٩) حمدي عبد الرحمن، الاختراق الإسرائيلي لإفريقيا، (قطر: منتدى العلاقات العربية والدولية، ٢٠١٥)، ص.٩٨.

٤٠) حمد سليمان المشرفي، التغلغل الإسرائيلي في إفريقيا، (القاهرة: دار الجامعة المصرية، ١٩٧٢)، ص ٣٧.

٤١) كمال الشكري، التغلغل الإسرائيلي في إفريقيا وأثره على الأمن القومي العربي، مرجع سابق، ص. ١٤٨.

٤٢) محمد النحال، وفارس النعيجي، تطور الاستراتيجية الإسرائيلية في القرن الإفريقي والبحر الأحمر، (الخرطوم: مركز الراصد للدراسات والبحوث، ٢٠٠٣)، ص. ٤٢.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر والمراجع العربية:

١. إبراهيم عبد الرحمن، **أفريقيا بين التسوية والصراع العربي ـ الإسرائيلي**، المستقبل العربي، العدد٤٩، مارس (١٩٨٣).

٢. جوزيف رامز أمين، **العلاقات الإسرائيلية ـ الأفريقية**، وزارة الإعلام، سلسلة دراسات دولية، القاهرة، العدد ٤٦، يوليو (٢٠٠٣).

٣. حلمي عبد الكريم الزغبي، **مخاطر التغلغل الإسرائيلي في إفريقيا**، الكويت: دار كاظمة للنشر والتوزيع، ١٩٨٥.

٤. حمد سليمان المشرفي، **التغلغل الإسرائيلي في إفريقيا**، القاهرة: دار الجامعة المصرية، ١٩٧٢).

٥. حمدي عبد الرحمن، **الاختراق الإسرائيلي لإفريقيا**، قطر: منتدى العلاقات العربية والدولية، ٢٠١٥).

٦. زليخة بن رمضان، **المجتمع والدين والسلطة في إفريقيا الغربية ما بين القرنين ١١و ١٦م**، ج.٢ الرباط: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠١٥).

٧. الشريف الإدريسي، **أنس المهج وروض الفرج: قسم شمال إفريقيا وبلاد السودان**، تحقيق، الواحي النوحي، الرباط: منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ٢٠٠٧).

٨. كمال الشكري، **التغلغل الإسرائيلي في إفريقيا**، أطروحة دكتوراه

في العلاقات الدولية، جامعة دمشق، كلية العلوم السياسية، العام الدراسي (٢٠١١-٢٠١٢).

٩. محمد المختار، **الاستثمار في إفريقيا: آمال وتحديات**، مجلة قراءات إفريقية، (العدد ٤، سبتمبر ٢٠٠٩).

١٠. محمد النحال، وفارس النعيجي، **تطور الاستراتيجية الإسرائيلية في القرن الإفريقي والبحر الأحمر**، الخرطوم: مركز الراصد للدراسات والبحوث، ٢٠٠٣).

١١. محمد عبد الكريم، «**إفريقيا في الفكر اليهودي**»، مجلة قراءات إفريقية، العدد ٤٣، يناير (٢٠٢٠).

١٢. محمود كعت، **تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس**، تحرير وتقديم: حماة الله ولد السالم، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠١٢).

١٣. نادر السيوفي، **حرب الموارد في إفريقيا**، مكتبة الشريف الأكاديمية، الخرطوم، ٢٠٠٨.

١٤. نظيرة محمود خطاب، **إسرائيل تدق أبواب إفريقيا من جديد**، مجلة شئون عربية، العدد٤٧، سبتمبر (١٩٨٦).

١٥. الوزان الفاسي، الحسن بن محمد (المعروف بليون الإفريقي)، **وصف إفريقيا**، ترجمه عن الفرنسية: محمد حجي ومحمد الأخضر، ج.٢، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٨٣).

ثانياً ـ المصادر والمراجع الأجنبية:

16. Conrad (David C), **Islam in the oral traditions of Mali**, Bilal and Surakarta, In Journal of African History, Vol 26, 1985.

17. Diogo Gomes, **De la première découverte de la Guinée**, tard. Th. Monod, R. Mauny et G.Duval, Bissau, 1959.

18. Fernandes (V), **Description de la côte Occidentale d'Afrique** (Sénégal au Cap de Monte, Archipels), Ed. et Trad. Par TH. Monod, A. Teixeira Da Muta et (R) Mauny, Centro de Estudes de Guinée Portuguesa, No, 11, Bissau, 1951.

19. Marty (P.),1921, **Etudes sur l'islam et les tribus maures :les Brakna**, Paris, E. Leroux.

20. Mauny (R); **Tableau Géographique de l'ouest Africain au moyen - âge Mem**, de I.F.A.N.B, No 61, Dakar, 1961.

21. Mendelssohn, Sidney, **The Jews of Africa, Especially in the sixteenth and Seventeenth**, Centuries Kegan Paul, London, 1920.

22. Springer, Anthony Joseph, **Augustine use of scripture in His anti**, Jewish polemic, Faculty of the Southern Baptist Theological Seminary, December, 1989.

23. Williams, Joseph, **Hebrewisms Of West Africa; From Nile to Niger with the Jews,** George 323- Allen & Unwin Ltd, London, 1930